روايات عبير

إيما جولدريك

عاصفة الحب

www.elromancia.com

مرمورية

٢١٣

مكتبة مدبولي الصغير

روايات عبير

«ABIR» - No. 213

عاصفة الحب

عاشت مادلين طفولة محرومة من أبويها الراحلين؛ وتولت عمتها مارى رعايتها حتى أصبحت فتاة مستقلة تعمل مندوبة لبيع العقارات فى القسم الفرنسى من كندا؛ ولم تتخلى عن عشقها للرياضة وخاصة الكاراتيه، ولإحساسها بذاتها وإعتزازها الفائق بقدراتها لم تلتفت طيلة حياتها لمحاولات كثير من الشبان ورفضت عدد لا بأس به من مشاريع الزواج.

فى الحقيقة لم تشعر مادلين بأى نقص، رغم سنوات عمرها السبعة والعشرين، إلا أن العمة العجوز غرست داخلها إحساس بكونها صارت عانس!!

فجأة يقيم جار جديد غامض، السيد جويل فيرمونت، وتصطدم به فى الليلة الأولى لمجيئه، وتفسد له حفلته حتى تتخلص من الضوضاء لتنعم العمة بنومها.

لبنان	٢٢٥٠ ل.ل	الكويت	١,٥٠٠ د	اليمن	٦,٤٠ ر	U.K. 2,40
سورية	٤٠ ل.س	الامارات	١٩,٢٠ د	تونس	٢,٤٠ د	France F 16
الأردن	١,٥ ف	البحرين	٢,٤٠ د	ليبيا	١,٦٠ د	Greece Drs 320
العراق	١,٢ ف	قطر	١٩,٢٠ ر	المغرب	٨ د	Cyprus P 2,40
السعودية	١٠ ريال	عمان	٢,٤٠ ر	مصر	٣٠٠ ق	

الفصـــل الأول

لقـــاء فى الظـــلام

ثماني درجات ملتوية من سلم خشبي تقود إلى أعلى الشرفة الخلفية للمنزل المجاور لمنزلها، وعلى مسافة تقل عن مائة قدم هناك منزلين بطابعهما المميز للعمارة القوطية، كشواهد وأطلال تذكر بالقرن الماضي في لاكونيا ونيوهامبشاير. صعدت مادلين تلك الدرجات الثمانية وسط حلكة الظلام الدامس الساعة الثانية، وهي منحنية الرأس، قلبها يدق بعنف يكاد يحطم صدرها غضباً عندما إصطدمت رأسها عفواً، صعودها السلم مسألة صعبة عليها، مادلين كاربينيو الفتاة فارعة الطول، والممتلئة الجسد؛ وعندما أحنت رأسها لتستقر مصطدمة بباطن شخص واقف بالشرفة، وصاح ذعراً وسقط على ظهره؛ لتتمدد قامته الفارعة وتسقط هي الأخرى فوق حجره، وطوقها بذراعه وصوته الأجش يهدد في أذنها: «حسناً، لا أعرف ما أمسكت به، أي نوع من الطيور أنت، يا حلوة؟»

حاولت مادلين إلتقاط أنفاسها؛ وقالت لنفسها أكانت كل الدروس التي تعلمتها في الكاراتيـه بلا هدف، وبإستدارة سريعة ودفعة طرحته على ظهره، وقفزت لتقف معتدلة على

www.elromancia.com

قدميها وهى تنظر إليه وتحول الخوف المفاجىء إلى غضب .

لم يلق حتى بسيجارته المشتعلة ؛ كان طرفها يضىء فى الظلام ؛ وبكل رشاقة ومهارة الرياضى وقف ؛ وإعتدلت هى لتقف فى وضع دفاعى وكلتا يديها مشرعتان تجاهه ، ولمعت نهاية السيجارة وهو يقول « هيه .. إنتظرى ؛ سأقلع عنها بشرفى !! » وقذف بالسيجارة ، وإعتدلت مادلين بقامتها الفارعة ، عاجزة عن التركيز ، وإستغربت أن صوته يأتيها من علو يفوق قامتها الطويلة ، وهى الفتاة التى أمضت نصف حياتها تتهادى فى مشيتها لتجرح ذاتية ونرجسية الرجل ؛ الآن يفاجئها هذا بتفوقه عليها ، وحاولت إستعادة إتزانها وقالت له : « تقلع عن ماذا ؟ »

لم يكن السؤال الذى تريده ؛ بل خرجت الكلمات منها دون قصد محدد ، وأجابها « التدخين ! ، إنها عادة قبيحة ؛ دعينى أقول لك ، هذه الليلة هى ليلتى للإقلاع عن أشياء كثيرة ، وتغيير وجهتى فى الحياة ؛ فضلاً عن رغبتى فى الإقلاع عن الحياة ذاتها حتى لا أتعرض إلى لكمات تلك اليد المشرعة فى وجهى ، إنظرى إلى حجم يدك !! » .

لم تتبين ملامحه بوضوح فى ضوء القمر ، أو تتفهم غرضه ، وقالت : « لن أضربك ، وأنا لا أطارد الناس لأضربهم — بدون سبب قوى ، هذا ما فى الأمر ، حسناً ، الحفلة بأصواتها الصاخبة مزعجة جداً ، كما تعرف ، وعمتى بعمرها الخامس والثمانين بحاجة للنوم ؛ ولقد حذرنا الجيران بأن نيوهايشابر يجب أن تحتفظ بهدوئها ! » .

« أهى هادئة فعلاً ؟ » وأطلق تنهيدة قوية من صدره العريض ، كانت لهجته تقطر أسى ، كما فهمت مادلين ، كيف ذلك وهو واحد من القطيع كما إعتادت أن تقول ؛ وتراجعت

نصف خطوة للوراء عندما إقترب منها ؛ وفى ضوء القمر الشاحب لمحت صورته كشبح ، قميصه الأبيض ، رباط عنق أسود ، جاكت أسود ، وقامة فارعة أطول منها بخمسة أو ستة أقدام ، وشعر أشقر غزير ، وشعرت بجاذبية مغناطيسية لا تدرى سببها إستقرت فى قلبها نحوه ، وغمغمت « أنا ... عمتى مارى ، عجوز جداً ؛ لا تستطيع النوم وسط هذا الضجيج ، وأنا لا أستطيع أن أعمل ! هل تعلم من ... ؟ » .

إنبعث صوته المجلجل من الظلام « من الذى يقيم الحفلة ؟ جويل فيرمونت ، هذا إسمه ، أخطأ يفعله ؟ أليس كذلك ؟ أى إنسان يقيم حفلة يجب أن يدعو جيرانه جميعاً حتى لا يستدعوا له الشرطة » .

« هل تعرف هذا السيد فيرمونت ؟ » .

« مثل أخ ؛ ولست مضطراً للتجول للإعتراف بذلك ، كما تعرفين » .

« بإمكانى فهم السبب ، لكن يجب أن أعترض من أجل عمتــى ، كما تفهم ، أى نوع من الرجال هو ؟ » .

« أى نوع ؟ صعب أن أقول ، رجل رفيع مثل شباب بوستون ، ربما تفهمين شيئاً ، المال مال كثير ، ولو أنه لم يكوّن مليماً بنفسه ، كما تفهمين ، ماذا عنك ؟ » .

« بخصوص ماذا ؟ » .

« ماذا تعملين ؟ طبيبة ؟ محامية ؟ مهندسة ديكور ؟ مدرسة ؟ » .

« لا شىء من ذلك ؟ بائعة عقارات .. أين تظنينى أجد فيرمونت ؟ » .

« بائعة عقارات ؟ عظيم ! » لو كان يتهكم ويسخر من

www.elromancia.com

مادلين، لا تدرى حقيقة قصده «هو يتجول في مكان ما» وخطا خطوة أخرى مقترباً منها «أنا سعيد جداً بأنك لا تفعلى هذا أبداً».

أخفضت رأسها، وذهنها مرتبكاً، وتساءلت هل وقعت في منزل مجانين؟

أضاف «أنك لا تضربين الناس أبداً..».

قاطعته «بدون سبب قوى» شعرت بحاجة مفاجئة للدفاع، وعقلها متحفز حذراً، هذا الرجل نمر في قفص يحاول تحطيم القضبان! إنتبهى يا مادلين!.

«كما تقولين، دائماً واجهت متاعب».

«أية متاعب؛ والآن ماذا عن السيد فيرمونت».

تجاهل سؤالها «دائماً واجهت متاعب بسبب ضخامة حجمى؛ في المدرسة الثانوية كان التلاميذ يتقافزون حولى، وكانت أمى تقول دائماً أن القوة ليست هي الحل!! ها ها!! ماذا كانت تعرف عن الحياة في بلاد الأقزام؟» وتمدد للحظة وشعرت بعضلاته ومفاصله. وهي تفرقع تحت قبضه وأنهى كلامه «إمضى لحالك».

«يا إلهى، أنا إمرأة ذكية، حاصلة على شهادة جامعية أتردد على الكنيسة بإنتظام — حسناً، غالباً، أتحدث ثلاث لغات، لماذا لا أفهمك؟ هل أنت — مشوش؟».

«لست مشوشاً، ربما مسرور جداً، لكننى لست مشوشاً أبداً، إمضى لحالك».

«خلال ثلاثين ثانية إن لم تبعد عن طريقى، سأضربك!».

أهكذا، الآن أصبح لديك السبب القوى، هيا يا فتاة».

«إستمر ثم أضربك؟» تحولت قلقة، هي فتاة قوية، وهو أقوى منها، أطول منها، ورغم حقيقة أنها تتدرب على الكاراتيه مرتين إسبوعياً، لكن ضرب الناس ليس وظيفتها؛ لكن طالما هو مصمماً —

خلع جاكتته «هيا إضربينى» رمى بها على درابزين الشرفة؛ وشرع ذراعيه، همست هي «إذن تمام» وهي تكز أسنانها «أنت الذى طلبت!» وقالت لنفسها، ربما أستريح من إحباطى، وهي تتفحص الوضع، وجدته ضم يديه معاً في حركة دفاعية من حركات الكاراتيه، إذن لن أستخدم الكاراتيه، قالت لنفسها، وضمت قبضة يدها اليمنى وطوحت بها لتلكمه لكمة خطافية في جانب صدغه.

سواء كان مخموراً أو يقظاً، قادر على رؤيتها أو عاجزاً بسبب الظلام؛ إلا أن رد فعله فاجئها بدلاً من رفع يده للإمساك بقبضتها أو التراجع لتجنب القبضة، إندفع للإمام حتى صارت كأنها في تجويف شجرة ضخمة، ويده اليمنى تمسك بخناق عناقها بشدة، واليد اليسرى حول خصرها، وغمغم «سترين؟» كانت عاجزة عن الحركة أو الرد، ربما تأثير سحر الليل أو تعب اليوم كله الذى عجل بسريان الخدر في أعصابها، وربما تأثير النجوم، واصل كلامه بهدوء «إذن لو كانت فتاة وأرادت أن تقاتل، سا..».

قاطعته «أنا لا أقاتلك، من فضلك أنا لا أقاتلك!».

همس «فات الأوان، إنه مجرد رد فعل» عندما فتحت فمها لتحتج، كانت شفتاه قد أطبقت عليها، كان مذاق قبلته مزيج لا تستطيع تحديده؛ سرى إحساس بالإثارة خدر أحاسيسها، للحظة إنطلق إنذار تحفظ وتحذير داخلها، ثم أطبق السكون؛

هذا إحساس لم تجربه من قبل ، وهو يحتضنها ، تعلقت بكتفيه ، عاجزة عن جعل قدميها تحملانها ، عندما رفع يديه عنها مبتعداً ، للحظة ظلت مستندة على جسده القوى تحاول إلتقاط أنفاسها ، وهى تفتح عينيها الغائمتين ، كان هو أيضاً يحاول إلتقاط أنفاسه ، وبسرعة إستندت بجسدها على سور الشرفة ، ويحدق كل منهما فى الآخر وساد الصمت لحظة حتى قطع حبله « حسناً !! لم أشعر أبداً بمثل هذه الإستجابة ! » .

وهى تزأر فى وجهه « ولن تشعر بها أبداً مرة أخرى ؛ لقد جئت هنا لأعبر بأدب عن شكواى وأنت .. أهنتنى ! » .

« يجب أن أعترف أننى إستمتعت بتلك القبلة » كانت لهجته بها نغمة الغطرسة والغرور الرجالى الذى تكرهه كثيراً ؛ وأرادت أن تفجر تلك البالونة الفارغة .

« قالت بهدوء : « أنها تذكرنى بشىء حدث لى ، عندما كنت فى الثامنة من عمرى ولعقتنى بقرة على وجهى ! ، أعتقد أنك وتلك البقرة جئتما من مدرسة واحدة !! » .

إرتفعت حواجبه فى دهشة « هل فقدت إحساس ؟ بعد كل تلك السنين من مطاردة الفتيات أصبح منبوذاً ؟ » .

« لا ، لا إنتظر ! ـ » بدأت الإحتجاج بينما هو يطوقها بذراعيه ، وبنفس الإسلوب ؛ وعادت لتستند إلى سور الشرفة ، ويدها ترتعش فوق شفتيها ووعيها مشتت ، وتتساءل ماذا تفعل ؟ فهى الآن مستعدة للركوع وتقبيل قدميه ؟ الرجل خطير !!

سألها قلقاً « أهذا أفضل ، أم أنك تفضلين إسلوباً آخر ؟ » .

وهى تبتعد عنه « لا ، لا ، أفهم أنك ربما كنت ناجحاً جداً وأنت صغير » خطا ناحيتها وأضافت « وما زلت ، أفترض ذلك » .

إكتمل ضوء القمر بينما غطى وجهه شعور بالرضى عن النفس « دائماً أريد إرضاء زبائنى » .

كانت تريد مقاطعته ، كانت الكلمات على طرف لسانها ، لكن ضوء القمر أغرقها فى عالم من الأحلام ، كانت فى غاية الإثارة ، والإفتتان ، وإنهمرت دموعها على خديها ، ووضع إصبعه تحت ذقنها ورفعه لأعلى ، حدقت فى وجهه وتنهدت وهى تقول : « أظن الأفضل أن أذهب لحالى لأشتكى للسيد فيرمونت من الضوضاء » وبدأت تسوى شعرها للخلف ، وقال لها : « شعرك جميل » ولمسه بيده ، ردت هى « أنت لا تعرف حتى لونه » وكشر فى وجهها « تحاولين إصطياد مديحى له ؟ » .

« لا ، طبعاً » وكانت غارقة فى فكرة أنها الليلة كانت صيداً سهلاً لسحر القمر ، دون أن تدرى لماذا !

قال : « شعرك حريرى بنى » وهو يرفع خصلة منه فوق رأسها ، كان صوته شبيهاً بصوت كلومبـوس عندما أعلن إكتشافه لأمريكا !!

إرتعشت مادلين بخدر السعادة ، وسألها « لماذا تريدين مقابلة جويل فيرمونت ، يمكننى القيام بما سيفعل ـ ربما أفضل منه » كان وجهه مضىء بإبتسامة ، ويداه تحاول الوصول إليها صاحت « لا ! السيد فيرمونت أين ألقاه ؟ » .

عقد ذراعيه حول صدره وقال : « إضربينى يا سيدتى » إرتدت على عقبيها متجهة إلى المنزل تاركة إياه بمفرده تحت ضوء القمر ؛ ولتتأكد من صدق كلمته ، هكذا قالت لنفسها ، ها هو يشعل سيجارة أخرى .

عندما عادت للمنزل سمعت الضوضاء تخترق أذنيها ؛ كان شخص يفتح جهاز ستريو بأعلى الصوت ؛ وعندما أستندت

www.elromancia.com

مادلين رأسها على حائط المطبخ شعرت وكأنه يهتز تحت تأثير الأصوات الشديدة؛ بشجاعة قدرها ضئيل فتحت باب المطبخ ودخلت غرفة المعيشة.

رأت مايقرب من عشرين زوجاً يزدحم بهم الصالون، ربما كلمة «زوجين» ليست الكلمة الصحيحة. كان هناك مجموعتين متمايزتين. إحداهما غير نظيفة شعرها طويل مسترسل، ترتدى الجينز، والأخرى ترتدى ملابس السهرة، وشاهدت مشهداً شاذاً مذهلاً، تحت عتبة السلم الخشبى تقف إمرأة رأسها مغطى بمظلة الصباح وشبه عارية إلا من قطعة واحدة، وتحت قدميها يركع شاب ملتحى يرسم مشهد الغروب فوق بطنها المستديرة، وجعل سرتها هى الشمس، كان يرسم وهو يتباهى بمهارته الواضحة، ولم يكن رسمه رديئاً.

تجنبت مادلين هذا الزوج باهتمام!!، لاكونيا غير بعيدة عن بوسطون، لكنها تختلف عنها كثيراً فى عاداتها الإجتماعية وتقاليدها، كانت الأحاديث تشبه الصراخ حتى تتغلب على صوت الستريو العالى؛ حتى تكاد تخرق الأذن. وكانت مادلين لا تعرف من هو الذى ستتحدث إليه؛ وشقت طريقها إلى وسط الغرفة ثم إلتفتت باحثة عن أى شخص مازال محتفظاً بوعيه ولمحت رجلاً كبيراً، ربما فى العقد الرابع من عمره، مرتدياً بدلة ورابطة عنق وأمامه كأسين من شراب ما، كان طويل القامة ممتلىء، وقبل أن تبادره بأى كلمة إتجه إليها صائحاً «أنت هنا ياعزيزتى» وقدم لها كأساً تناولته مبتسمة، وبإيماءة شكرته، كان ودوداً، وربما مستيقظ الوعى! ومهما كان مافى الكأس، إلا أنها لم تستسغه وكحت وبحثت عن منديلها لتجفف عيونها؛ ووضعت الكأس جانباً، ونظر الرجل قائلاً: «لا يروق لك؟»

هزت رأسها وكحت مرة أخرى، مرت أمامها إمرأة حاملة كأسين بهم شراب أبيض نقى، تناولت أحدهما وتذوقته وعرفت أنه شمبانيا أمريكية، وإلتفت لتحدثه وبصوت مرتفع صاحت «عمتى الكبيرة تريد أن تنام!» وأشارت من النافذة ناحية منزلهم.

بينما توقف جهاز الستريو لتغيير شرائط الموسيقى أجابها «لا، لا أريد أن أنام مع عمتك، طلبت من الوكالة أن ترسلك أنت!!».

جذب معصمها وبدأ يسحبها ناحية السلم، وسط تشجيع الحضور غير العابث؛ تشبثت مادلين بقدميها وإحتجت «أظنك فهمت خطأ» وتعالت تعليقات الحضور؛ بعضهم قال أن الخجل إعتراها؛ وشل قدميها؛ وأجابها الرجل «إنظرى لقد دفعت الفاتورة للوكالة؛ إذن لا حاجة لإمتناعك عن أداء دورك!!».

وهى تكز أسنانها قالت: «إترك يدى وإلا أبلغت البوليس».

«ياإلهى أنت فوق السادسة عشر، أليس كذلك؟» وإقترب بيده من صدرها وإنفجرت غضباً؛ وبحركة إلتفاف مباغتة لوت معصمه مبتعدة عنه وجذبته ناحيتها ثم طوحته لتطرحه أرضاً، ليسقط وسط مجموعة من الحاضرين ككرة مضرب، وتحول التشجيع إلى صراخ وتزاحموا للإبتعاد، ووقف الرجل الضخم فوق الأرض، وإتجه ناحيتها، تلفتت مادلين سريعاً عبر أرجاء الغرفة ولمحت موضع أجهزة الستريو فى أحد الأركان عندما إقترب منها؛ فاتحاً ذراعيه لينقض عليها وتركته يدفعها للخلف وهى ممسكة بياقة قميصه وترنحت للخلف وقدميها مثبتتين فى معدته، وإستدارت لتدفعه ليصطدم بجهاز الستريو،

فى لحظات محدودة توقف الجهاز وساد الصمت تماماً ، وهو مستلقى فوق حطام الجهاز ، وبسرعة فكرت مادلين فى شىء آخر ؛ صاحت « البوليس !! المكان محاصر !! » .

لو قالت « حريق !! » ما كان رد الفعل بمثل هذه السرعة الخاطفة ، وسط هؤلاء الحاضرين الحفلة والمعتادين على حضور الحفلات هناك عدد كبير غارقين فى الشعور بكونهم مذنبين ؛ وبدأ التدافع والتزاحم للهرب من الباب ؛ وفى لحظة دون معرفة السبب لم يجد أحد من ضيوفه سوى مادلين الوحيدة الباقية فى الغرفة .

سألها بصوت مرتعش « ماذا حدث لحفلتى ؟ » وعيناه ترقب الدمار وحطام الغرفة بنظرة إستنكار على وجهه وغمغم « كما لو أن عاصفة دمرته ! » .

قالت : « آسفة لهذا ؛ أنظر ؛ سأساعدك فى تنظيف المكان ، عندما يظهر السيد فيرمونت سوف ــ يا إلهى ! » وأخفضت رأسها وكأن شيئاً يحلق فوقها وصاحت « وطاويط ! » فاجئها خوف طفولى أن الوطواط سيغرس مخالبه فى شعرها لينزعه كله علق هو « ليس هنا وطاويط » . نظرت إليه ثانية مستغربة إن كان فقد الرؤية ، على ذراعه الأيسر كان الطائر مستقراً ؛ مخالبه تنهش معطفه ، باطن الطائر لونه برتقالى ؛ أجنحته خضراء رأسه أصفر ؛ عيونه محاطة بخطوط بيضاء ، ومنقار كبير . رفرف الببغاء بجناحيه ، ونظر إليها وهو يغمغم « تنظرين للمقارع الجميلة ! » .

قالت مندهشة : « يا إلهى » كان الطائر قد أخفى رأسه تحت جناحيه .

وتساءلت « ما هذا ؟ » .

« لا أدرى ؟ ببغاء جدى ، وكانت جدتى تكرههم » أين

ذهب المدعوون ؟ .

« لا أدرى ، قلت لهم أن عمتى العجوز ــ وكل هذه الضوضاء وطلبت إيقافها أو رحيلهم ، طبعاً كان هناك بعض الكلام عن غارة بوليسية ، مع كل تلك الغيبوبة ، يجب أن تذهب بنفسك ؟ .

« مخدرات وغيبوبة ! » .

إيه ، بوليس المخدرات ، كما تعرف » .

وقف والأسى يملأ وجهه « حسناً ، لن أذهب أنا أعيش هنا !! » .

غير مصدقة « ماذا ؟ أنت جويل فيرمونت ؟ » تلاشت إبتسامة غامضة قبل أن تكتمل على وجهه لإقتناعه بغضبها ، لقد ظل طيلة فترة غير قصيرة يضللها بمعلومات خاطئة ، وهو يستحق كل ما حدث له !! المشكلة الوحيدة أنه لم يكن متعاوناً تماماً ؛ عندما جذبته لتطرحه أرضاً بدلاً من رده على حركتها ثبت قدميه على الأرض وتعلق بها و إحتضنها بذراعيه ، قالت له : « إما أنك مخمور جداً أو أنك تلعب الكاراتيه بمهارة » وهى تتخلص من أحضان يديه ، كانت رائحة الخمر تفوح وتتخلل كل أنفاسه ووافقها « ربما كلا الأمرين ؛ آه ، يجب أن أذكر أثناء فترة تسكعى كنت مصارعاً محترفاً ؛ إفهمى هذا جيداً يا سيدة ، مؤكد أنك تعرفين كيف تفسدين الحفلة ! » .

قالت بمرارة : « أخبرتك أن عمتى بحاجة للراحة لذا أنهيت الحفلة ؛ وأسديت لك معروفاً كبيراً ، يا مستر فيرمونت ، ليس بمقدورك إحضار أصدقائك المتسكعين هنا وتتركهم يثيرون الضوضاء طيلة الليلة أنت محظوظ ، إننى لم أتصل بعمى فريد » .

أجابها ساخراً « وهو كذلك ، من يكون عمك فريد

www.elromancia.com

هذا ؟ » .

« هو رئيس البوليس فى هذه المدينة ، وهو قلق بشأنى وشأن عمتى ، لأننا نقيم بمفردنا » .

أفهم أنك رياضية مشاكسة ، لا أريد لقاء عمك ، هذه آخر حفلة لىّ هنا ياسيدتى ، قبل أن أبدأ رحلة كفاحى وكدحى ؛ كنت تشاهدين الآن نهاية وسقوط آخر نجوم البلاى بوى فى بوسطن !! » .

« كفاح ؟ » عجزت عن طرح سؤالها !! .

« أؤلف كتاباً ، وهو بحاجة للهدوء والتركيز تمام ؟ لذا أقمت حفلة وداع ، لأودع الضوضاء من حياتى ، والآن مستعد للعمل » .

مؤكد أنه صادق ، ضحكت مادلين فى سرها ، لم تكن هذه حفلة ؛ كانت إفاقة ! ولا عجب أنه كان يختبىء فى الشرفة ، وبخصوص أصدقائه وبقدر ما لاحظت ، فإن الببغاء كان الوحيد الذى له معنى ومغزى بوجوده فى المنزل !

« لا تصعب الأمر هكذا ، لن تتباكى حزناً لأنك لن تسكر ! » .

إرتفعت رأسه ، ولمحت عيونه الزرقاء ، وأعلن لها « لا ، بل سأشرب وأسكر ، تحدثى إلى فى الرابعة صباحاً عندما أكون مخموراً فعلاً ، وستعرفين الفارق » مرت أمامه بحذر ؛ رجل يفصح عن نواياه بهذه الطريقة فهو مشكلة أكيدة ، قالت : « أظن يجب أن أغادر شكراً على إيقاف الضوضاء » .

رفع يده محيياً « نعم ، طبعاً ، اللعنة أنا حتى لم أعرف إسمك !! » .

« الآنسة كاربونيو » كانت الغرفة مليئة بالحطام غمغم

« آنسة كوكمبيو ؛ حسناً ؛ ماذا تتوقعين هيا إصعدى جبل الحطام هذا » .

لم يكن بمقدورها إتخاذ أى قرار ، لم ينتظرها ، بل غرس أصابع يديه فى ذراعيها وجذبها ناحيته صححت له « كاربينو » كانت آخر فكرة وعتها فى تلك الليلة المظلمة الطويلة ، قبلها فوراً ، قالت لنفسها كان يجب حدوث هذا لأننى مرهقة ؛ لأن الجميع يعرفون لا شىء يعرف مواجهة الحب لأول نظرة !! قاومته ثم إستنفذت كل طاقتها على الرفض وتركت لنفسها حرية الإستسلام الجميل ، إنبعثت أحاسيس حارة لتزلزل كيانها ، بدأ رأسها يتطاير ليعانق النجوم ويده تعانق عنقها ؛ فجأة بدأت مضايقات الببغاء ؛ إستقر أحدهما على كتفها ونقر أذنها بمنقاره الكبير ، تجمدت للحظة ، ورفع جويل فيرمونت يده عنها ، وغمغم « فقدت رغبتى ، الطائر الصغير ضايقنى » .

« يجب أن تصدقه ، الآن وللأبد ، ودعنى أمشى » .

« لماذا لا نتناول كأساً وننسى خلافاتنا » .

إرتجفت مادلين ، ومررت يدها على شعرها وسوت عنق بلوزتها أحضر طبقاً من المشهيات لم يمسسه أحد وقدمه لها « تناولى شيئاً ، سيريحك » نظرت إلى الطبق « لا أشكرك ، أنا حذرة فيما آكل » .

« ماذا يجب أن أقدمه لك ؟ أنا أحد الزهاد والنساك الحقيقيين ؟ بالتأكيد كأس صغير لن يفسد حياتك ، ونحن جيران ، تمام ؟ » .

« لا أعرف شيئاً عن هذا الشراب ؟ لا أشرب كثيراً ؛ لكن ربما أشرب البيرة المثلجة ؟ » .

كشر فى وجهها ، ولمحت ومضات عينيه ، فى نهاية الليل

www.elromancia.com

وزجاجات بيرة مثلجة وفتاة شابة كل هذا يعنى الضياع !!

عاد من المطبخ حاملاً زجاجتى بيرة، تناولت منه الزجاجة وقطعة التوست وقالت: «سوء حظ، هناك مثل فرنسى قديم يقول تبادل الأنخاب مع حذاء مفكوك رباطه سوء حظ».

سألها «أحقاً؟».

«حقاً، هل أكذب عليك؟» وبدأت تضحك وعجزت عن وقف ضحكاتها وهى تسكب زجاجتها فوق رأسه.

زمجر غاضباً «اللعنة !!».

نعق الببغاء «قاتل الزوجات الستة».

إعتدل جويل فيرمونت ببطء؛ تراجعت مادلين للخلف بحذر حتى إستندت إلى الباب المواجه، كانت عيناه قد غام بريقها، وإعتراها الخوف.

بدأ حديثه بلهجة حادة «ياسيدتى، أنت مفسدة الأفراح والحفلات، ألست كذلك؟ حسناً، الآن ألا تفعلين معى معروفاً، أخرجى من بيتى، أخرجى من منزلى، أخرجى من حياتى!».

إلتفتت مادلين وشقت طريقها، ودلفت من الباب إلى الظلام، وعبرت الفراغ الفاصل بين منزليهما، وعبرت الباب الخلفى.

قفزت قطة عمتها ميهتابل فوق مائدة المطبخ وشاهدتها، وهى تسند رأسها على الباب وبدأت تتحرك ببطء شديد ناحية مكتبها، حيث جلست مسندة ظهرها على مقعدها أمام المكتب، وتصفحت يدها حزمة أوراق كانت تطالعها من قبل عندما إرتفع ضجيج الحفلة، وجدت القلم الذى أسقطته، لكن ذهنها كان غير منتبهاً، بدأت صورة جويل فيرمونت تتقافز أمامها، منذ

ساعتين لم تكن تعرف بوجوده، والآن ...؟ همست «ياإلهى.. أخرجى من حياتى» لم يبق فى ذاكرتها من أحداث تلك الليلة سوى هذه العبارة.

قالت لنفسها مدينة كبيرة، متغطرس بمغازلته للنساء، وسط رجل مرفوض وأصدقاء منبوذين. لماذا لم يسعفها الحظ برجل لطيف هادىء، شاب متعلم ليشترى المنزل المجاور لها؟ لكن طيف قبلاته مازال مستقراً فى أعماق شعورها، حاولت أن تطرد تلك الذكرى من عقلها.

جاءت القطة ميهتابل لتستقر بين ساقيها ضاع منها أمل إتمام عمل مئات الأوراق الماثلة أمامها، فهى تبيع عقارات فى حى البحيرة الجيرية فى تيوهاميشاير، وكل صفقة تتطلب أوراق كثيرة، كل هذه الأوراق مؤجلة من أمس ولكنها لن تستطيع تسليمها، نحتها جانباً بينما عقلها يموج بأفكار متصارعة.

همست لنفسها «أعرفك ياجويل فيرمونت، ربما أكون بأعوامى السبعة والعشرين عانساً، ويصبح من السهل الوقوع فى حب رجل لطيف ليس مرعباً مثلك، لحسن الحظ ليس هناك شىء مثل الحب لأول نظرة، لكن لو أردت الحفاظ عليه يجب أن أبتعد، أبتعد عنه!».

حاولت أن تريح نفسها لكنها فشلت وظلت تلك الذكرى تطاردها وتجلب لها الأرق طيلة ليلتها.

www.elromancia.com

الفصل الثانى

فتاة رياضية

ضوضاء الصباح، بداية مزعجة، تسللت الأصوات عبر نافذتها، تغريد طيور النورس، نداءات الصيادين على الساحل، ساحل البحيرة، صيحات الأطفال فى الحديقة خلف المنزل، وأصوات تنظيف الأطباق فى المطبخ؛ الغرفة تكاد تتطاير بها، وتمددت مادلين بصعوبة، لقد كانت ليلتها فظيعة بكل الإعتبارات وعندما نامت شاهدت أحلاماً لم تشاهدها من قبل جلست فى سريرها، تنظر إلى الملاءة التى سقطت على الأرض والوسائد.

ليلة لا تنسى؟ يا لها من شىء يشبه الأحلام، جويل فيرمونت وببغاؤه على الذراع وعيناه وسط جبهته، وخصلة من شعر رأسه منسدلة!! ماذا يعنى هذا الحلم؟ هل يريد وصالها؟؟

إنطلقت صفارة الغلاى فى المطبخ، قالت لنفسها صفارة تحذير أخرى، حتى فى أيام السبت ياعمة مارى لاتغيرين عاداتك الصباحية، لكنها طردت الخيالات التى تنهش رأسها، وقالت لنفسها «أعرفك ياجويل فيرمونت» وخرجت من

سريرها، وتناسته. تطلعت فى مرآة الحمام لنفس الملامح التى كرهتها لسنين ــ تمشى فوق أرنبة أنفها؛ ندبة شاحبة فوق حاجبها الأيمن، تذكار لليلة التى فاز فريقها بكأس بطولة كرة السلة للآنسات فى تيوهاميشاير، عندما إصطدمت بمقعد أحد المتفرجين، وكسرت شظفة من نابها الأيسر العلوى كتذكار لمباراة اليسبول فى الجامعة.

إرتدت بدلتها والجاكت المطبوع على ظهره حرف «×» بالفسفور المضىء كإشارة تحذير لراكبى الدراجات البخارية عندما تعدو فى المنحنيات الخطرة؛ كانت البدلة ملائمة لها تماماً، وهى تنظر للمرآة أعلنت استياءها، وهبطت السلم بسرعة قبل أن تطل العمة مارى برأسها وتناديها.

وقفت للحظة عند الباب، من الصعب عليها وصف العمة مارى، مخلوق قصير بائس، رأسها الصلعاء لا يغطيها سوى خصلة شعر خفيفة بيضاء فى منتصف الرأس؛ إمرأة هادئة؛ بإستثناء موضوع واحد. وهى السيدة التى إقترحت فى إجتماع العائلة بعد جنازة والد ووالدة مادلين التطوع برعايتها وهى طفلة أبنة العامين فقط، وهى السيدة التى لم تتنكر لوعدها، وهى السيدة التى تقبلت فى عيد ميلادها الثمانين أن تتولى مادلين بعد أن أصبحت إمرأة ناضجة ذات طاقة دافعه، تتولى تنظيم أمورها بنفسها سوى أمر واحد.

«ها! تهربين مرة ثانية؟» عكصت أرنبة أنفها وهى تطل عليها من المطبخ، نفس المناقشة التى تسمعها مادلين يومياً طيلة السنوات العشر الأخيرة، ودائماً تصل لنهايتها المحتومة، عندما تضيف العمة «أهذا شيئاً ترتدينه للخروج!!».

غمغمت مادلين «إنه فى غاية الإحتشام» وإنسلت تجاه

www.elromancia.com

الباب الخلفى، بينما تنهدت العمة «محتشم الفساتين هى المحتشمة، وتلك الضوضاء الفظيعة ليلة أمس !! لم أستطع إراحة رأسى على الوسادة وكادت تنفجر!!».

هذه العمة العجوز التى لايزيد طولها عن خمسة أقدام لاتعترف أن ابنة أخيها الفارعة القامة أطول منها بأعوامها الخمسة والثمانين مازالت العمة مارى تصر على القيام برحلتها السنوية من كندا الفرنسية والتى إعتادتها منذ خمس وسبعين عاماً.

لكن هذا الصباح أرادت مادلين إختصار دائرة الحوار «ذهبت إلى الباب المجاور ليلة أمس لأشكو لهم، جارنا الجديد الشاب!».

تجمدت العمة مارى فى وقفتها «شاب؟ هل هو متزوج؟» سؤال اليوم الهام، فى حوار عمتها، وأجابتها «نسيت أن أسأله».

«إشربى عصير البرتقال، أنسيت؟ هذا الجيل الجديد!! كل الناس لديها أطفال!! إشربى».

أصرت مادلين «ليس صحيحاً الجرى والمعدة ممتلئة إن كنت لاتريدين أن أصاب بتقلص عضلى، أتريدين؟».

«ماأريده أن تتزوجى، نريد أطفال يمرحون حول المنزل، ماذا حدث عندما ذهبت عندهم ليلة أمس؟».

«أنا ـ حسناً، كان يسببون ضوضاء رهيبة طلبت منهم إيقافها، وأوقفوها».

وهى تشرع أنفها بنزعة أرستقراطية فى الهواء «وماذا عن هذا الرجل؟» بينما عدم التصديق يتخلل مئات التجاعيد فى وجهها العجوز.

«حسناً، هو بالتأكيد؛ وسيم، لبق الحديث، لكنه مغرور متغطرس! يا إلهى، يظن أنه أعظم رجل فى العالم!!».

تنهدت العمة ببرود وكأنه تضع الثلج لتطفىء لهيب مادلين «نعم، طبعاً، منذ كان عمرك أربعة عشر عاماً كان بإمكانك مع مرور السنين كتعاقب الفصول أن تقابلى أعظم رجل فى العالم وتقعين فى حبه لأول نظرة؟ هل تزوجت؟ هل لديك أطفال فى المنزل؟».

«آه؛ ياعمة، أليس هذا سيئاً، أليس هذا كثيراً؟!».

«كم مرة؟ كنا على وشك الزواج، ولا مرة؟ أنا يعجبنى الفريد، ماذا يعمل الآن؟».

«حقق نجاحاً كبيراً، هو أحد جامعى القمامة رئيس عمال على جراره الخاص».

«وهل تزوج؟».

«نعم، تزوج إبنة أوبرين، تذكرينها، تلك الصغيرة ذات الرأس الأحمر، كنت أكره مشاهدة رأسها، لديهم سبعة أو ربما ثمانية أطفال».

«ها ها ـ لا مفر؛ يكفى أربعة أطفال الإنجيل يقول: «تكاثروا» لكنه لم يقل بهذا العدد، سبعة أطفال!!، وماذا عن الولد چورچ؟ عندما كان عمرك واحد وعشرين عاماً؟».

إشتعلت خدودها «إنتهى الأمر لأنه كان يريد أشياء كثيرة، لم يكن الزواج ضمنها».

«تحاولين إستغفالى؛ فى ذلك الوقت كنت أتشمم مثل تلك الأمور قبل وقوعها، يامادلين، كل مرة عندما تسمعين حديثاً عن الزواج تتحدثين عن الرجال المدهشين الكمل المثقفين، ماذا جرى؟ لا، لن تقولى لى؛ أنا التى سأخبرك

www.alromancia.com

بمجرد أن يتلاشى تورد خدودك فلن تجدين أى رجل يقترب منك ، ولا واحد ؟ إذن لا تهتمى بالإكتمال ــ فقط أخبريني ، فقط إسألى هل هذا الرجل له قلب شجاع ؟ عقل مستقل ؟ ما تحتاجينه هو رجل يده قوية ، يا شبرى !! » .

أصرت مادلين « لست بحاجة لأى نوع من الرجال ، أنا سعيدة تماماً بحياتى هذه ، أنت وأنا ــ هذا يكفينى ! » .

قاطعتها العمة مارى « كلام فارغ ، إذن هو مختلف ــ ماذا يقولون الآن ــ هل هو ؟ » .

إحتجت مادلين « لا ، ليس هذا الشخص ، لا أستطيع ، لا » .

واصلت العمة « إذن ، تمام ، إذن فهو رجل بمعنى الكلمة ملائم لك ؛ أو إنسيه ، أخرجى وإجرى بسرعة ، قومى بتدريباتك ، إنشغلى فى عملك وسريعاً سيتشوش عقلك ، لكن الأمور ستعود إلى طبيعتها ، الآن ، هل هذا كل ما فى الأمر ؟ » .

أرادت مادلين أن تقول لها ، هو ليس فائق الرجولة بالنسبة لىّ ، هو النوع الخاطىء من الرجال الذى لا يلائمنى ، لكن الكلمات ماتت على شفتيها ، العمة مارى رغم شيخوختها شغوفة جداً بالمناقشة المتعمقة لذا غيرت الموضوع !! .

تنهدت مادلين « هذا كل ما فى الأمر ؛ قابلت ذلك السيد فيرمونت وإكتشفت سره الفظيع ! » .

إلتمعت عيون العمة « حقاً ! أخبرينى بسرعة هل هو مختلس بنوك ؟ نادى البريدج سرق ظهر أمس » كانت العمة تمص شفتيها ، لمحت مادلين ، وتناولت عصير البرتقال الخاص بمادلين !

قالت مادلين وهى تريح مقعدها للخلف « لماذا لا يكون الأمر أبسط من ذلك ؛ هو يؤلف الكتب ولديه ببغاء ! » .

« مجرد دقيقة ، لا يمكن أن تتركينى هكذا ! وأنت لم تشربى عصير البرتقال !! » .

« يجب أن أشربه ؛ الكأس فارغ !! ؛ يجب أن أرحل يا عزيزتى . سأقول لك المزيد عنه بعد أن أعود » .

خرجت مادلين ؛ ضاحكة لكن ما قالته عمتها إخترق عقلها ، هل هى صادقة فى خياراتها للرجال ؟ هل تستطيع تذكر أربعة فقط بوضوح ؛ ولا واحد منهم يلائمها ؛ وتساءلت هل أنا قاضى سيىء ؟ وبدأ الشك يبزغ داخل تلافيف عقلها .

عند عتبات السلم قابلتها القطة ميهتابل كالعادة ؛ وكان النسيم المنعش يهب من بحيرة وينى بيسوكى أكبر مجرى مائى فى نيوهامبشاير وفى الفضاء المرتفع كان صقر يحلق عالياً ؛ والمنزلين المميزين قابعين تحت ظلال الأشجار ، مدرسة الزجاج والطوب ؛ التى تحتل المبنى الأخير من شارع ماكجراث ؛ المبنى قابع تحت صمت مطبق والغبار يغطيها طيلة فترة الإجازة الصيفية .

تنفست مادلين بعمق لتعد نفسها وبدأت تعدو من الحديقة الخلفية بإتجاه حدود المتنزه الصغير ، ليس هناك أسوار تفصل بينها سوى أن حشائش المتنزه مختلفة ، وإتجهت إلى مضمار الجرى ، كان المتنزه فى الغالب خالياً ، والشاطىء لا يفتح قبل الثامنة أو بمجرد وصول رجال الإنقاذ النهرى ، وهى تفرد ذراعيها ، تضبط ساعتها الميقاتية وإنطلقت ، ليس هناك علامات مسافات على المضمار ، يحتار من يجرى أى بقعة ينطلق منها ، ويعد لنفسه ، فى حالة مادلين تختار دائماً نقطة إنطلاقها عند نصب خشبى لقائد هندى ، فى مواجهة الشارع الرئيسى الشمالى .

فى دورتها العاشرة ، كانت تحاول إلتقاط أنفاسها اللاهثة ،

فى الدورة الخامسة عشر كانت فى قمة الإنهاك ، وفجأة إكتشفت أنها ليست بمفردها ، كان هناك شخص يجلس على أحد الأرائك الخشبية القريبة من التمثال ؛ كان مرتدياً بدلة الجرى ، لكن واضح أنه عاجز عن البدء ، رأسه منحنى للخلف فى زاوية حادة ، كما لو كان ميتاً أو مستغرقاً فى نوم عميق ، وكان ببغاء أصفر الرأس يتنقل فوق المسند الخلفى ، أبطأت مادلين خطواتها بالقرب منه فى محاولة لإكتشاف الموقف ، نعق الببغاء « إستيقظ أيها الصغير اللطيف ! » وبدأ الرجل يصحو ؛ وهب فى الببغاء « لا تفعل ذلك ! » وأمسك رأسه بيديه .

وضعت مادلين يديها فى شعر رأسها وجذبت رباط رأسها ، وبذلت جهدها لإستعادة حيويتها « صباح الخير مستر فيرمونت » .

« فيرمونت ، هل أنت معتاده على الحديث بصوت عال ؟ ألا ترين أننى مريض ؟ لا أظنك طبيبة ؟ » .

وجدت مكاناً خالياً على الأريكة « لا ، ولا أنا أفترض ذلك » وبعد أن إعتدلت فى جلستها « سنجرى معاً ، أليس كذلك ؟ » .

نعق الببغاء « بعد نهاية سباق الدربى » إرتعد فيرمونت وحاول سد أذنيه « لماذا أنا ؟ ، جئت هنا لأموت موتة هادئة ، ويلتقطنى أى إنسان ! لماذا أنا ؟ » .

« أنا أشعر بالأسف لنا ؟ » على الأقل تعاطفاً رغم أنها مقتنعة أن الإدمان مرض ، إدمان الكحول إلا أنها غير مصدقة « ربما يجب أن تعود لسريرك وتموت ؟ أم تفضل أن أتركك بمفردك ؟ » .

« لا ، ليس هذا ؛ لقد بذلت كل هذا المجهود بسببك ، ولن

أستطيع القيام به مرة أخرى » .

« شىء مثير ممتع ، ألا تدرى أنك وببغاءك أصبحتم حديث المدينة ؟ » .

« آه يا إلهى ، هذا ما أريده ، إخترت لاكونيا لأن لا أحد هنا يعرفنى » .

« حسناً ؛ هذا سيتم تصحيحه تمام الرابعة بعد ظهر اليوم ؛ عندما يجتمع نادى عمتى للبريدج ، وفى صباح الغد يكون الخبر قد شاع فى أرجاء لاكونيا كلها ، الآن ، لماذا كنت تريد لقائى ؟ » .

غامت عيناه عندما رأى ضوء الشمس « أنا متشكك ؛ ربما أكون قد قلت شيئاً ليلة أمس ربما يكون خارجاً عن حدود الأدب ؟ » .

« قلت الكثير !! » .

« حسناً ، إذن أنا آسف ، أعتذرلك » .

وإفتخرت أن أمك علمت السلوك الحسن يجب أن تبلغها إعجابى » .

« لا أستطيع ، قالت لىّ هذا منذ عامين ، ألا يجعلك هذا تشعرين بالتعاطف ؟ » .

« الشفقة نعم ، لكن ليس التعاطف ، أنت كنت فعلاً رجل متغطرس مغرور متنكر ليلة أمس » .

« هذا سىء ؛ هيه » .

إستغرقت مادلين فى أفكارها ، أليس هذا المغرور هو الذى سرق أحلامها ليلة أمس ؟ غير حليق شعره غير مصفف ، يبدو الآن كمتسول وليس سارق قلوب العذارى ؛ لو جاءت دورية البوليس الآن ، سيبحثون فى البداية عن زجاجة الخمر فى

www.elromansia.com

حقيبته الورقية البنية ثم يقررون إعتقاله لعدم إحترامه التمثال والنصب التذكارى لبيتر توث المندى .

ثم فكرت وقالت لنفسها لو كنت سأقع فى حب رجل ، يجب أن تقبلينه على علاته فى النهاية !! بعد خمسة ثوان إنتبهت لشرودها ، إنتفضت ووضعت يدها على فمها لتتأكد أن ولا كلمة صدرت عنها !! وإستغربت إن كنت سأقع فى حب رجل ؟ يا إلهى ماذا حدث لىّ !! رجل متعجرف مخمور متسكع ؟ وأقع فى حبه ؟ أفى النهاية وبعد طول إنتظار إكتشف أننى كنت فى إنتظار طائر مكسور الجناح ؟ هزت جسدها ، وحاولت قمع الفكرة .

وأكدت له « نعم ، كان سيئاً ، ربما أنك لا تستحق أن تكون فتى أحلام أى فتاة » وأضافت فى سرها بإستثنائى أنا ، وأنا مجنونة رسمياً عندما أقيم الرجال !! ربما ذلك هو السبب لإعتبارى أنه أفضل من هنرى الوسيم ، على سبيل المثال .

إستعطفها « من فضلك ، يجب ألا تقولى هذا جئت هنا فى صبيحة اليوم لكننى إعتقدت أنك فتاة لطيفة تستحق الإعتذار ، والآن لست متأكداً » .

« أنا فتاة لطيفة ، لطيف جداً ، هذا الإعتذار هل تظننى نسيت أنك حرمت على دخول منزلك أو الإقتراب من مكانك وحياتك ؟ » .

« لا تأخذين عنى فكرة خاطئة ، كنت أعنى كل حرف مما قلته ليلة أمس ، آخر شىء كنت بحاجة له فى العالم أن أجد جيرانى يتطفلون على حياتى لا ؛ أعتذر عن الطريقة التى تحدثت بها لا عما قلته » .

وهى تنظر إليه متشككة « تتطفل الجيران ، ها ها » حاولت

السيطرة على أعصاب معدتها ، لقد بدأت رومانسيتها لتتلاشى خلال خمسة دقائق على أريكة المنتزه !! أقصر علاقة غرامية ، رقم قياسى تاريخى !! عمتى على حق !!

لقد عرفت مادلين مئات من الرجال لم يعجبها أحدهم ، لكن هذه المرة الأولى التى يجذب رجل إنتباهها وإحساسها الإنثوى ، ويعترف أنها لا تعجبه ، إنها صدمة أخرى تضاف إلى سلسلة صداماتها التى لا نهاية لها ، بداية الليلة الماضية ! تطفل الجيران ! حقاً !!

ربما كانت العمة على حق كما هى فى كل شىء آخر ، ربما هو متخوف من التطفل ، لأن لديه ما يريد إخفائه ! إذن ماذا أفعل ، قالت لنفسها ببرود ، أن أتطفل ، ثم أشيع أخباره عبر أرجاء لاكونيا ، فى صحفها ، إن كان القتال ما تريده يا مستر فيرمونت ، ستلقى جزاءك ! كما فى هذه اللحظة ، منذ الآن بدأ القتال حرب مفتوحة !!

قالت له بصوت محايد « هذا تمثال بيتر توث ، توث كان نحات مهاجر كان ينحت التماثيل الخشبية — خشب هندى — لكل تماثيل البلد ، لا أدرى كيف كان يحصل عليه ، لكن عددها هنا ثمانية وأربعين أليس هذا لطيفاً ؟ » .

« ياه ، لطيف ، هندى ، هذا ما أنا بحاجة له ! علاج هندى قديم ، يمكنك بالتأكيد إحضار وصفة علاج هندى وهذا يساعدنى ؟ » .

شجعتها عبارته « شىء بسيط ، لا أعرف أى علاج هندى قديم » إنسدلت خصلة شعره على وجهه ، بدون وعى مدت يدها وأزاحتها « ماذا بشأن العلاج الكندى القديم ؟ » .

« كانوك (كندى من أصل فرنسى) ماذا يعنى هذا ؟ قبيلة

أخرى ؟ » .

« إنه الإسم القديم الذى يطلقه الإنجليز علينا نحن معشر الكنديين من أصل فرنسى عندما جئنا إلى جنوب كندا لأول مرة ، كانوا يقصدون به التهكم لكن الآن نحن نستخدمه الآن كعلم يميزنا ! » .

« لست بحاجة لبيرق أو علم أنا بحاجة لإنقاذ » .

« حسناً ، تعالى إذن » وقفت ومدت يدها لتجذبه ، ولثقله لم تستطع ووقعت أرضاً وهو معها ، وإستقر الببغاء على كتفها هى ، لم ينطق الببغاء بحرف ، ربما تشاهدهم العمة مارى من النافذة ؛ كانت واقفة فى الشرفة ممسكة بباب المطبخ مفتوحاً وهما يصعدان درج السلم كانت القطة معها ، طار الببغاء إلى المطبخ هرباً من مواء القطة ، التى تابعته ، وغمغمت مادلين « آه يا إلهى » .

وتأوه جويل « آه يا إلهى ! » .

وقالت العمة مارى « آه ؛ يا ! » وهى تتجاهلهم وتتجه ناحية القطة ، بعد فترة ساعدته لدخول المطبخ ، وقف الببغاء على سياج ستائر النافذة ، والقطة على الأرض ، والعمة مارى تفحصت جويل وحالته بنظرة سريعة خاطفة ، وقالت لمادلين « أجلسى الرجل المسكين بجوار المائدة ، ثم إصعدى السلم وأحضرى شيئاً لائقاً ! » .

قالت العمة كلماتها بلهجة حب ، وطبقاً لتقاليد جيلها ؛ الرجل دائماً له المكانة الأسمى .

لم يكن جويل فيرمونت أول رجل تقدم له الخمر ، دائماً الرجال يشربون ، لكن العمة لا تتعاطف مع المخمورين . وعندما سلمته كأسه قالت له « إشربه حتى آخر قطرة ! » .

نظر إليها متشككاً « نفس السم الذى إعتادت أمى صنعه » وهو يتناول الكأس ويرفعه فى النور.

ردت العمة موافقة « محتمل ؛ أنت تستحق كل قطرة » .

بكل قوته نعق الببغاء « اللعنة على الأسماك الرعاشة !! »

قفزت القطة وأنبشت مخالبها فى الستارة ؛ وجاهد الببغاء للإبتعاد ، وعندما وقعت القطة على الأرض صاح « هو ، هو !! » .

صاح جويل فى الببغاء « آه ؛ إصمت ! » وإرتشف رشفة من الكأس ، وإلتوى أنفه إشمئزازاً « أظننى سأنفجر متطايراً أشلاء » ووضع الكأس كما هى بينما شجعته العمة « إشرب ! الأفضل خلال خمس دقائق » وغمغم هو « وإما سأموت » وعادت مادلين للغرفة .

بعد رمش سريع إرتدت أفضل ملابسها وأكثرها إحتشاماً تلك التى ترتديها عندما تريد مقابلة أحد المشترين من الرجال متوسطى العمر ، بنطلون رمادى واسع ، بلوزة بيضاء كلاسيكية ؛ إنتبهت عمتها وإبتسمت وقالت بإعجاب : « مدهش ! » وجذبت طبق مادلين ووضعته أمامها على المائدة « إجلسى تناولى إفطارك ، نسيت أن أخبرك ، هنرى لوفليور إتصل » .

« آه ، ماذا يريد ؟ » .

« لم يقل ، ألا تفترضى أن ما يريده منك شيئاً يريد مناقشته معى ؟ ظل يتحدث عن الشاليه الفخم على البحيرة الذى بناه ليسع إثنين ، ثم ... » .

هبت مادلين « عمتى ! ، لا يهمنى الشاليه ، لكنه لديه أفكار أخرى ، أيضاً ... » .

كان جويل فيرمونت يحدق فيها « أهو رفيقك ؟ » كان يبدو عليه كما لو أن نصف العالم قد إنهار ودُمّر ، وبسبب خطأها هى ، لا مبرر لديها لعدم إخباره بهنرى — ولم يكن فى نيتها أن

تقول له .

أجابت ببرود « ليس رفيقاً، صعب أن تفكر فيه هكذا بعمره ووضعه الإجتماعى !! وإنسى هذا، يامستر فيرمونت ! » .

يبدو أن معدته كانت تضايقه، وتراجع للخلف بنفس النظرة الساهمة الغائمة، الإفطار هو الوجبة الرئيسية لمادلين ونادراً ماتسمح لها عمتها بإعدادها، رغم حرص العمة على القيام بأى شىء حتى تحتفظ بحركة يديها وعقلها وتنشغل بشىء؛ وهكذا توزعت الأدوار المنزلية، العمة تعد الإفطار؛ مادلين تعد الغذاء الخفيف، والعشاء، فى هذه اللحظة لا تشعر مادلين بالجوع؛ كانت على وشك أن تزيح الطبق جانباً، لكن جويل فيرمونت الجالس قبالتها يحاول إخفاء مراقبته لها بلا حول، وتغير لون وجهه من الأصفر إلى الأخضر.

تناولت سكيناً وشوكة وبدأت تناول قطعة اللحم بالبيض « ألست جائعاً يامستر فيرمونت ؟ » إنسدلت خصلة الشعر على وجهه مرة أخرى، شاهدته مادلين وهى تغطى عينيه .

« لا ؛ أنا جائع يا آنسة هوكامبيو » وبلا وعى دفع الخصلة للوراء « أنا لم أتناول الإفطار أبداً، أحياناً لا أتناول الغذاء أيضاً ! » قطبت فى وجهه وصححت له العمة مارى « كاربينيو » وإنضمت إلى المائدة وبيدها فنجان شاى « إنه اسم صعب عندما تزوجت أختى ... » .

هبت مادلين نصف واقفة « عمتى ! » وعيناه تقدح تحدياً لعمتها ألا تحكى قصة عن تاريخ العائلة، ورفضت العمة التحدى، وغرقت فى صمتها. وعلق جويل فيرمونت « غريب جداً، أشعر بتحسن نوعاً؛ ربما لا أريد أن أموت اليوم. إذن لو تسمحون لى يا سيدات، سأشق طريقى إلى ... » .

نعق الببغاء « قاتل الزوجات الستة ! » وهبط من الستارة ليستقر فوق كتفه، وميهتابيل قفزت فوق المائدة لتتحرش به؛ وخربشت كأس اللبن غمغمت العمة « آه ياقطتى » ووقف جويل بسرعة ليبعد الببغاء عن القطة، وماءت القطة بغضب وهى تهز ذيلها .

وعلق وهو يتجه إلى باب المطبخ « لا أظن أن قطتك مثل ببغائى » .

ردت مادلين ببرود « على العكس، أظن أن ميهتابل تحب الببغاء جداً، وبنفس الإسلوب يامستر فيرمونت تعجبنى » .

كان بادياً كأنه إستعاد صحته، أضاء وجهه « بالنسبة للغذاء، تقصدين ذلك ؟ » وخرج وصفق الباب وراءه؛ قبل أن تفكر أى من المرأتين ماذا يقولان .

بالفعل أفسد إفطار مادلين وسارت ناحية النافذة وشاهدته يخطو فوق العشب الفاصل بين المنزلين، وتبعتها القطة .

وأشارت إلى عمتها « أرأيت ؟ هذا جارنا » .

كانت يد العمة مارى ممسكة بفوطة ورقية مبللة باللبن، وجاءت لتقف بجوارها فى النافذة « رجل فائق الرجولة، خشن، ملامحه حادة، ربما لا يستأثره حب الحياة الأسرية؛ لكن المرأة الجيدة يمكنها مداواة ذلك » .

هبت مادلين غاضبة « لحظة ملعونة، إن كنت تفكرين أننى أفكر مثلك ... ! » .

« لماذا، لا أفكر فى شىء مثل الحب، هو رجل لطيف رغم أنه يشرب الخمر، ومن من الرجال ليس له عادة سيئة ؟ ولدى إنطباع أن حسابه فى البنك متخم بالمال، أليس صحيحاً ؟ » .

وافقتها مادلين « أفترض ذلك، لكن ... » .

واصلت العمة كلامها «لكن يجب نظرياً الإعتراف بأن من السهل الوقوع فى حب رجل ثرى تماماً مثل الوقوع فى حب رجل فقير».

«نظرياً؛ المرأة إما أن تكون شجاعة أو غبية أو الإثنين معاً؛ لو حاولت مع هذا الرجل، ذاتيته متضخمة جداً!».

«آه، لكن هناك نساء، ونساء آخريات».

«لو كنت تقصدينني فأنت وضعت يدك إمرأة فاشلة، أقف هنا مكتفية بالإعجاب به خلف ظهره، وأترك تقارير مبيعاتى ناقصة والمنزل بحاجة لتنظيف، أليس كذلك؟».

تنظيف المنزل والتسوق مهمات لا تروق لمادلين المنزل واسع جداً، أوسع من إدارة إمرأتين فقط له، نصف غرف الطابق الثانى مغلقة، وتأتى إمرأة ثلاثة مرات إسبوعياً لتنظيفه، لكن العمة مارى لشيخوختها لا تستطيع تنظيف أى شىء، ولا تحاول.

ولذلك، تتولى مادلين إنجاز المهمتين معاً فى عطلة نهاية الإسبوع؛ وهكذا هبطت مادلين درج السلم مرتدية الجينز، وبدأت عملية التنظيف بينما عمتها تنفض الغبار من غرفة المعيشة والصالون عندما دخلت مادلين المطبخ قالت: «لكن قلبها فى موضعه الصحيح، وتنفض الغبار بمهارة!!».

المطبخ هو قلب المنزل، أى أسرة كندية من أصل فرنسى تقول لك هذا، هو المكان الذى يجب تنظيفه وتلميعه! وعندما قاربت الساعة على الرابعة بعد ظهر السبت، كان وقت التسوق قد حان موعده.

تناولت مادلين القائمة المعلقة على الدولاب فى المطبخ، وركبت سيارتها أومينوس وإتجهت إلى «الشوبنج سنتر» فى

نهاية شارع ماكچريث ثم الكنيسة وعبرت الكوبرى إلى ميدان الإتحاد، ثم إتجهت شمالاً بعد المدرسة العليا ثم إلى المنتزه الخالى حيث السوبرماركت.

نزلت من سيارتها ببطء، كان يوم صيفى حار لاكونيا المدينة المحاطة بالجبال من كل إتجاه والتى يبلغ شاطئها على بحيرة وينى بيسوكى مسافة مائة وثلاثة وثمانين ميلاً، ولهذا تسمى مقاطعة نيوهاميشاير المقاطعة الجرانيتية.

كانت السماء بحرارة شمسها قد هجرتها الطيور بحثاً عن ظل تحتمى به، وحتى الأشجار لا تهتز فيها ورقة، مشت مادلين حقيبتها معلقة فى كتفها، رأسها منحنية، وأسرعت لتحتمى ببرودة السوبر ماركت.

سمعت صوتاً أخرجها من شرودها «ألست أنت مرة أخرى؟» حدقت فيه، إنه جويل فيرمونت بعد أن أصلح هندامه وإستعاد وسامته، وبدا عليها الراحة والهدوء، وصاحت «أنت مرة ثانية إذن لم تمت بعد!!».

لست بحاجة لإظهار خيبة أملك، هل تتعقبين خطواتى؟».

«أتعقبك أنت!!» إندفعت الكلمات من فمها بإنجليزية واضحة ثم تحولت إلى الفرنسية ثم إنقلبت إلى الألمانية.

«أنت فتاة صغيرة مدللة عنيدة، يجب أن تغسل عمتك فمك ولسانك بالصابون مرات كثيرة هل تظنين أنك الوحيدة هنا التى تتكلم الفرنسية والألمانية؟ لمعلوماتك، أمى وأبى تزوجوا قبل إنجابى بعامين».

إعتدلت مادلين بقامتها وشرعت رأسها عالياً «لست بحاجة لأن تهتم هكذا، لم أتعقبك حتى لو كان بحوذتك آخر تذكرتين لسفينة نوح!!».

«هذا سىء ؛ حسناً ؛ كلما سمعت المزيد منك كلما إزداد إعجابى ، أخشى أنك ستكونين مثل النساء الغبيات اللاتى يريدن الإرتياء على ، الأفضل أن تعلمى أن جيرانى يكرهوننى !!» .

أجابته ببرود «أنا لا أكرهك ، هذا يستنفذ طاقة كبيرة منى ، أنا فقط مختلفة عنك يا مستر فيرمونت الآن لو سمحت إفسح لى طريقاً ، أريد أن أنهى مهمة التسوق ، هذا المحل سىء جداً بدون وجود شخص مثلك هنا !» .

ضحك جويل وهو يتعقبها ناحية جناح الخضروات الطازجة «قمت بذلك على خير وجه ، لكن ماذا تقصدين بقولك أن المحل سىء جداً !!» .

نظرت إليه من فوق كتفيها ، فى ضوء الفلورسنت رغم عمق نظرات عيونه الزرقاء مازال هناك شىء من غموضه الليلى ، وإستغربت هل يتسوق ، معظم الرجال يكرهون التسوق «حسناً ، مجرد مشاهدتك هذا المكان يفخر بذلك ؛ أنظر الآن ؛ خذ طمــاطمــة !!» .

نظر إلى الطماطم «لا آكل الطماطم ؛ أمى كانت تجبرنى على أكلها» .

«ولا أنا ، رغم أننى أحبها ، هيا إحضر لى بعضها» .

«تبدو جميلة ، لماذا ...» .

«ناولنى واحدة» مد يده وناولها طمـاطمة فعلاً «يبدو لطيفاً لىّ» .

قالت مادلين «منذ خمس سنوات لم يكن يسمحون بهذا فى المحل ، لكن بسبب السرعة أحياناً توجد أشياء فاسدة . وهناك جيران يشترون تلك الأشياء الفاسدة ، ويبذلون قصارى جهدهم

لإخفاء تلك الحقيقة ، أحتقر ذلك السلوك !! أرمى تلك الطمـاطمة الفاسدة ، لا يدرى أحد ماذا قد يصيبنا منها» .

رد عليها «لكن مجرد طماطمة واحدة لا يهم ، ربما تسيئين للمحل ، لماذا جئت هنا طالما هو محل سىء !!؟» .

«هذا سؤال جيد ، لكن فى المدينة المحلات قليلة كما تعرف ، والآن تسمح لى ...» إندفعت إلى ركن اللحوم ، ولاحظت أنه مازال هناك فى قسم الخضر والفاكهة ، ومدير المحل واقفاً قلقاً بجواره .

عندما بدأت تجميع البقالة فى الحقيبة الخلفية للسيارة خرج من المحل ، دون أن يحمل شيئاً من مشترياته ، كان الغضب بادياً فى خطواته ؛ إنتهت مادلين من وضع حاجياتها ، وجلست أمام عجلة القيادة ؛ ولمحته يستدير ناحية اليمين أمامها ليعبر ميدان الإتحاد بسرعة جنونية .

غمغمت «لطيف ، إذن هو رجل لطيف» لكنها لا تعنى أنه «لطيف .. ها ها !!» .

www.elromancia.com

الفصل الثالث
القطة والببغاء

كان يجب أن يولد هنرى لوفليور كروبا «ملاكاً مجنحاً، منذ خمسين عاماً مضت وهو مازال محتفظاً بخدوده الناعمة وجسده الملفوف القوام؛ ربما خصره أسمن من المعتاد وإبتسامة عريضة تضيء وجهه، ليس طويلاً جداً كعملاق ويعطيك إنطباع بأنه يستحق الإعتماد عليه؛ الإنطباع الذى يجب أن يتمتع به أى وكيل لبيع السيارات المستعملة فى المقاطعة؛ لكن يبدو أن خصلة الشعر الأبيض الفضى التى تحيط برأسه تضايقه.

قال بإصرار «لكن يجب أن تدركى يامادلين أنك أنجزت عملاً جيداً خلال هذا الصيف، لذا سوف نـ... مؤقتاً سوف نتوقف عن بيع المنازل فيما عدا...».

ترك الكلمة معلقة فى الفضاء، وأدركت مادلين الفخ؛ معنى التوقف عن البيع فقدانها أى دخل إضافى بينما يمكنها وعمتها العيش على مدخراتها، وإستثماراتها لكن هذا يعنى إستهلاك دون إضافة!!

قالت محاولة إظهار رفضها «لاتنسى السيدة ويزرز كما

تعرف أنها لن تنجز أى أعمال إلا من خلالى، وأنا أعمل لها منذ شهر».

وافقها «إذن وهو كذلك، إنتهى من عملها، وهذه آخر مهمة الآن، فيما عدا...».

نظرت مادلين متفحصة وجهه، ليس جميلاً، لكنه أيضاً ليس قبيحاً، خلف الوجه اللطيف الرقيق يقبع منجم عقول؛ بالتأكيد هو على وشك القيام بشيء؛ شيء موسف غير سار؛ رجاء إذن ـ لتقم بالمبادرة. وسألته «إلا ماذا ياهنرى؟»

وقف وتزحزح المقعد معلناً عن راحته من وزنه الثقيل؛ وتناول يدها فى يده، وقادها ناحية خريطة الحائط ووضع إصبعه على بقعة خارج البحيرة، وصاحت غير مصدقة «منطقة مورشيسون؟».

وافقها «منطقة مورشيسون».

وإحتجت «لكن ـ لقد ظلت منشورة فى كتب الدعاية لمدة خمس سنوات، وتعرف أنها ـ مكان مأهول بالجن أو شيء من هذا القبيل».

صحح لها «منذ عشر سنوات، وليس هناك منزل مأهول بالعفاريت، بل هى مزرعة جميلة تشمل الجزيرة كلها، خمس وثلاثين فداناً من أجود الأراضى، ومنزل به ستة عشر غرفة».

غير مصدقة «أرض خصبة! صخور صلبة وأحجار ينمو عليها قليل من الحشائش والطحالب كأرض تكساس!! لاشيء غير أشجار الصنوبر، وفقط أربع مواضع فى كل تلك المساحة هى المستوية ويمكن الجلوس عليها! وهى مأهولة بالعفاريت والأشباح. إنها مكان لايمكن بيعه بل مستحيل!!» إبتعدت عن الخريطة، وجلست على مقعد مواجه لمكتبه.

جاء خلفها وقال وهو يلقى بجسده ليغرق فى مقعده «صعب لكن ليس مستحيلاً» وإبتسامة تضىء وجهه» هذا إختيار لمندوبة مبيعات ممتازة يامادلين أى إنسان بإمكانه أن يبيع شاليه مكون من ست غرف على شاطىء البحيرة، لكن مندوب المبيعات هو الذى يبذل جهداً لبيع مزرعة موريشيسون، وتصبح مثلاً يحتذى».

ناقشته «لا أصدق هذا، أنت تضع الأمور وكأن لا بديل لها، مؤكد هناك خيارات أخرى؟».

بصوت خفيض «طبعاً ياعزيزتى، لن تقومى بمثل هذا النوع من الأعمال أبداً لو وافقت على الزواج منى يامادلين».

تنهدت مادلين وهى تقول لنفسها نعود ثانية لنفس الموضوع؛ هنرى لوفليور أخر العزاب الذين حاموا حولها؛ ولسبب ما يريد أن يتزوج مادلين كاربونيو منذ أول مرة صرح برغبته منذ وقت بعيد، لكن لم يستمر تكراره، رجل لطيف، هنرى، سيكون زوجاً لطيفاً لأى إمرأة، لكن ليس لىّ! للحظة سرى فى عقلها ذعر؛ أيضاً فإن خسرانها لدخل كبير قد يوقع بها فى فخ الزواج، كما يحدث مع باقى النساء، «لكن أدعوك يا ربى ألا تجعل هنرى هو قدرى كزوج!!» هكذا تفكرت مادلين.

هربت منها الكلمات الصحيحة «هنرى...» هل ترفضه نهائياً وتحسم الأمر؟ أم تتجاهل المسألة كلها؟ كان عقلها يقلب الأمر على وجوهه العديدة «هنرى؛ قل لىّ تفاصيل أكثر عن مزرعة مورشيسون».

رأت خيبة الأمل مرسوماً فى عيونه، مد يده ليفتح درج المكتب وجذب ملف المزرعة وسلمه لها كان يبدو ككلب بائس ركله صاحبه وطرده ليحرمه من جنة رعايته؛ قالت

لنفسها ربما كانت الدهشة قد قضت عليه لو وافقته، أرادت أن تصرخ فيه؛ لكنها تراجعت، أخذت الملف ووقفت ووعدته وهى تستدير بخفة لتخرج من المكتب «سأدرسه فى المنزل».

وقف هنرى وهو يرقب قامتها الهيفاء «مادلين!» ناداها؛ وإلتفتت «سأدرس كل شىء بخصوص المزرعة، هذا ما أقصده».

كانت سيارتها القديمة فى موضع غير مسموح بالوقوف عنده؛ خارج محطة سكة حديد لاكونيا القديمة حيث حول المبنى بأكمله إلى محلات ومكاتب بعد نقل المحطة منذ سنوات، الآن؛ المبنى يتلألأ بواجهات المحلات الناصعة وأوانى الزهور، كأنه إبتسامة خارج الميدان ومبنى غرفة التجارة.

أنقذت مادلين سيارتها قبل أن يقترب منها رجل المرور وبيده مخالفة الجراج فى غير أماكنه، وإنطلقت بها مباشرة شمال الشارع الرئيسى ثم شارع ماكجريث ثم إلى منزلها، كانت العمة مارى جالسة فى الشرفة الأمامية والقطة نائمة تحت قدميها.

للحظة ظلت مادلين جالسة فى سيارتها تشاهدها، العمة العجوز سريعة النوم؛ لكن نتيجة لتدريب أعوام طويلة تحتفظ بجسدها ممدداً معتدلاً وهى نائمة؛ فقط تغفو رأسها، مستلقية على مسند المقعد، عمرها خمسة وثمانين عاماً، وإسترجعت مادلين أفكارها؛ لقد تقبلتنى دون تساؤل طيلة كل تلك الأعوام، وكانت لها الأم والأب، وهى التى أكسبتنى كل شىء حققته بفضلها لكنها لاتستطيع مواصلة طريقها كما تريد هى، وهى عاجزة عن الوصول لحل ـــ كيف يمكنها أن تمنحها ماتريده من الحياة.

هى تريد إستقلالها ، لكن لا تستطيع أن تتخلى عن عمتها وتتركها وحيدة ! أحياناً تنتابها الرغبة فى التغيير لكن سرعان ماينتابها الهلع من الفكرة ، وأصبحت على وشك الإكتئاب ، لكن ليس لدرجة قبول فكرة الزواج من هنرى !! .

بتنهيدة عميقة فتحت باب سيارتها بحذر وأغلقته بعد نزولها ؛ وصعدت السلم ، كان شخير العمة عالياً ، خطت مادلين بخفة وطبعت قبلة صامتة وهمست « أياً ما كان الذى تريدينه منى ، سأفعله » وإنسحبت إلى مكتبها .

بعد إنتهاء الغذاء ، وإعداد بعض الطناجر للعشاء طيلة أيام ثلاثة مقبلة ، قررت مادلين الذهاب إلى الشرفة الخلفية ، فالمهمة مؤجلة منذ يومين ولو تأجلت أكثر فالمادة الأساسية ستفسد وأعدت المائدة الطويلة فى مكان يحول دون أن تطيح الريح بأوراقها ، وأخرجت كل ماتحتاجه لعملها .

أخذت معها بطيختين متبقتين من حفلة عيد ميلاد أقامتها العمة مارى لأربعة أطفال أبناء الجيران ، وإستخدمت السكين الحاد فى تقطيعها وفصل القشرة السميكة الخضراء وتقطيع الفاكهة الحمراء ، وقبل الإنتهاء من مهمتها جاء جويل فيرمونت إلى شرفته الخلفية ، صوت فتح باب مطبخه جذب إنتباهها ، نظرت إليه ؛ وإنقطعت أنفاسها ؛ للحظة أو مضت عينيه ببريق إندهاش لا شك فيه ، قالت لنفسها بأسى أنه رجل وسيم لو أن الوسامة لا تقف عند حدود المظهر !! لكن الأمر واضح هو لا يحبها ، وهى لا تستسيغه الرب يغفر الكذب !! ، هى واعية بكذبها وتوردت خجلاً وهمست لنفسها « كونى صريحة مرة واحدة فى حياتك » إنه رجل حسن ، ربما ليس كاملاً ، لكن على أية حال ، هو حسن ، يتوقف بإنتظام

ليتحدث مع العمة ، وفقط لمجرد أن شخصيتى متحذلقة بالحكمة متعارضة معه فلا يبتلعها ، ويتجاهلها ، ربما ليس بمقدورنا التغلب على تلك الحالة ، لكن كل مرة نلتقى يستثيرنى ويستعدينى ، وأرد بالمثل ، ويشتعل غضبنا ، إذن ما الحل ؟ .

حل هذه المشكلة ، قالت مادلين لنفسها ، هو يقيم بجوارنا ؛ الحل الوحيد الدائم هو جعله يترك هذا المكان ؛ كيف ؟ إقناعه أنه ليس مكاناً هادئاً ملائماً لروائى ؛ أثير بعض الضوضاء ؟ ثم ماذا بعد ؟ أين يمكنه أن يذهب !! إلى مكان منعزل ! لديه أموال تكفيه وتتخمه ، ويمكننى أن أبيعه منزلاً مكتملاً يفى بطلباته وأحصل على عمولة تساعدنى أنا وعمتى على تلبية مصروفات بقية العام ! هل هناك أكثر إكتمالاً ؟ كلا الطرفين يستفيد لا شىء بيننا سوى حسن النية ، كل ما يمكننى أن أبيعه مزرعة موريشسون !!

لم يكن واعياً بالسحابة السوداء التى يتطاير منها شرر البرق والتى تحوم فوق رأسه ، كان جويل فيرمونت مبتسماً ، يطلق صفارته ؛ والببغاء فوق كتفه ، ووضع الطائر المعارض فى قفص يتدلى من سقف الشرفة وهبط السلم متجهاً ناحيتها أحنت مادلين رأسها بسرعة ، وتشاغلت عن النظر إليه ، للمرة الأولى منذ تعارفهما ترتدى فستاناً ، مختفى تحت إزارها لكنه فى النهاية فستان ، شعرها منسدل على كتفيها ، والنسيم يطوحه كأنه يعانقه ، وخدودها متوردة ، رغم أنها لم تعى ذلك ، مما أضفى عليها مظهر أنثوى جميل ، وإقترابه منها جعلها عصبية ، فالنتيجة حتمية ، عندما خطت قدميه فوق الدرجات السفلى ، بعيداً عنها بستة درجات إنحرفت السكين لتجرح سبابتها ، غمغمت مادلين « اللعنة ! » ورفعت الإصبع الجريح إلى فمها

www.elromancia.com

ومصته .

قال لها بلهجة إهتمام « ماذا تفعلين ؟ » رفعت رأسها وحدقت فيه ، وإستند لأحد مقاعد الشرفة ، ووجهه يلمع تحت ضوء الشمس ، وهو يتخلل شعره بيده ، كانت قدماه حافية مما ضايقها ، كان يبدو مرتاحاً ، تمنت لو كانت ترتدى مثله ، وقالت : « أنا مشغولة بتقطيع نفسى » .

« ها نحن هنا مرة ثانية ؛ تمنيت لو عقدنا هدنة فى حربنا المحدودة ، أنا فعلاً لست رجلاً سيئاً ، كما تعرفين ، العمة مارى أن العالم ملكى ، وأننى أحبك ماذا عن ذلك ؟ » .

كان كلاماً مدهشاً لها ، لكن لن يؤثر فيها ؛ لو سمحت له بوصالها وهدمت حائطها الدفاعى ؛ إذن سيصبح حتمياً ضياعها ، وخسرانها أمامه ، فهى تعرف ضعفها ؛ أدركت مادلين أنه لن تكون هناك حلولاً وسط بينهما ، ولن يكفى « الإعجاب » فقط ، ربما يتجاوز الأمر مداه ، إما الكراهية أو الغرق فى بحر الحب ، والفكرتين متمايزتين ، لا ، فكرت مادلين ، التحرر الوحيد والخلاص الوحيد لنا هو الإنفصال ، خطة جيدة ، يجب محاولة تنفيذها .

هاجمته « كيف تضيع وقتك هنا بدون كتابة ؟ » .

رد بنعومة « الكاتب الجيد يعرف متى يأخذ راحته ، أظن أن يدك جرحت ؟ أتريدنى أن أحضر طبيباً ؟ » .

تنهدت « لا ، فقط أبعد ولا تحجب عنى شمسى أريد أن أتشمس » .

نظر متشككاً « إلى أى مسافة أبعد حتى لا أحجب عنك شمسك ؟ » .

« إلى حدود ممتلكاتك ، يكون أفضل ! » .

« ما تحتاجه مزيد من الطيبة الإنسانية والوداعة » إقترب منها وبدأ يداعب شعرها .

وهى تبتعد عنه نهرته « لا تفعل هذا !! لقد أمضيت وقتاً فى تمشيطه ! » .

رد بشكل مرح « لحسن الحظ أننى جئت لزيارة عمتك إذن ماذا ستفعلين ؟ » .

غمغمت « أقطع البطيخ ، أنه فاكهة مفضلة لعائلتنا منذ القدم » .

تحداها « لم أسمع عن نوع هذا البطيخ ، هل هو وصفة قديمة إنجليزية ؟ » .

ضحكت « ليس تحديداً ، وصفة من تينيسى ، حاول أن تجرب واحدة لو لديك الجرأة ، هذه آخر واحدة من العام الماضى » .

« ها » قال متحمساً « هذا جيد ! » .

سألها « طالما تستطعين القيام بهذه المهام لماذا تقوم عمتك بأعمال الطهى فى المنزل ؟ تعلمين أنها بلا حول ولا حتى عمود فقرى لدجاجة !! » .

وقفت مادلين ببطء محاولة كبح جماح إنفعالها ، لو قتلته بهذه السكين الحاد لن يفعل لها عمها قائد البوليس شيئاً ؛ فكرت ، طبعاً عنده حق !! العمة مارى تجهز كل الوجبات ، تخرج الطناجر والطعام المجمد الذى طهته مادلين ، وتضعهم فى الفرن لتسخينهم ، وكل ما فعلته أن شرحت كل ذلك للسيد المتطفل ، صحيح ؟

لماذا يجب أن أوضح له أى شىء ؟ تساءلت مادلين ، أولاً ، ليس من شأنه ، ثانياً ، لا يهمنى رأيه ، ألا يهمنى فعلاً ؟؟ إذن

www.elromansia.com

لماذا أشرح له ؟

« لا أرى أن ذلك من شأنك ، ولا من همومك كيفية ترتيب منزلى ، لو كان لديك أعمالاً ملحة فى أى مكان آخر ، لن أعطلك عنها هل لديك ؟ » .

رد عليها « آه ، لا ، لا شىء أبداً ، عندى موعد مع عمتك ، كل يوم فى هذا الموعد نلتقى ، هناك الكثير نتحدث حوله ، عمتك وأنا شىء ممتع ، هذه أول مرة ... » .

صاحت وهى تطوح بربطة أوراقها فى وجهه « لا تثرثر هكذا ! » .

سألها « ما هذا ؟ » وهو يغمس إصبعه فى أناء به سائل يشبه الماء ، ويسحبه كأنه إحترق .

« ماء قلوى ، بعد أن جرحت إصبعى طهرته ثم أبلله بماء قلوى لمدة أربع وعشرين ساعة ، الآن إن لم يكن يضايقك ، يمكن أن تتركنى لحالى ، أظن أن عمتى ما زالت فى إغفاءة ، ولا أريد إزعاجها » .

تنهد « ربما لا تكونين مستحيلة تماماً ، لكنك تجاهدين للوصول لهذا ، مشكلتك الوحيدة يا فتاة ، أنك أساساً لطيفة رقيقة ، لذا فإن هذا المزاج السىء مجرد تضييع جهد ! أنا فعلاً لا أدرى سبباً لإعجابى بك » .

« إذن إذهب ، هذا يسعدنا معاً » .

تفحصها بنظرة ثاقبة ، ثم إستدار ليهبط السلم وبمجرد أن لامست قدمه السلم إلتفت « ما نحتاجه إقامة سياج أو ربما جدار !! » ، ومضى ليترك فراغاً فى حياتها ؛ وبمجرد دخوله منزله جاءت العمة لتسألها بقلق « هل جاء مستر فيرمونت ؟ » . كنت أمشط شعرى و « ... » .

قالت بحسم « جاء ورحل ، ياله من رجل مقزز يا عمة ! » .

سألتها بنظرة متخابثة « أهو كذلك ؟ تعرفين أننى أراه لطيفاً محبوباً ، يجىء كل يوم ، نتحدث ، يعلمنى كيف ألعب الفان تان (قمار صينى) » .

تنهدت مادلين « هكذا ، أهى لعبة قمار صينى أليس كذلك ؟ ، أنظرى ، أنا آسفة يا عمة مارى ، لو أننى أفسدت تلك الصداقة الجميلة ، لكن ـــ حسناً ، أظننى فقدت أعصابى مرة أخرى ، أتريدين أن أناديه ؟ » .

والاستياء بادياً على وجهها « لا ؛ لا ، لا يهم ، يمكننى لقائه غداً ، ربما أدعوه على العشاء ؟ » .

اندفعت مادلين « أفضل ألا ندعوه ، هذا كثير ، ياه ، يا عمتى ، لا أدرى سبب إنفلات أعصابى ، لا أدرى فعلاً ؛ هذا منزلك ؛ لو أردت دعوة مستر فيرمونت على العشاء ، لتفعل ذلك بكل وسيلة » .

وإنحنت منكبة على عملها مرة أخرى ، أصابعها منهمكة فى العمل وعقلها مشغول بشىء آخر ، على مسافة غير بعيدة تسمع صوت صفارة ، لم ينقطع طيلة فترة الظهيرة ، واضح بالتأكيد أنه لم يكتب حرفاً واحداً فى روايته !!

جاءت عمتها مرتين لتراها عند الباب ، فهى طفلتها المحبوبة ، مادلين كاربونيو ، والمرأة العجوز قلبها يرتجف ويتراقص لأنها تعتقد أن الطفلة كبرت وصارت عانساً ، وفاتها قطار الزواج !! نظرت إلى خصلات شعرها البنى اللامع ، كان جويل فيرمونت جالساً على سور شرفته ، وكوب بيرة بيده ، يداعب ببغائه ؛ هزت العمة مارى رأسها وتمنت وقوع معجزة !!

غالباً ما تجىء الرياح بما لا تشتهى السفن ، عندما إستيقظت

مادلين فى الصباح يعتريها شعور بعدم الرغبة فى الذهاب للعمل لعدم وجود شيء تقوم به تحديداً، فضلاً عن معاناتها من صداع من إستماعها لصفارات الليلة السابقة؛ ومع ذلك فلقد أجرت عدة إتصالات تليفونية مع الجيران لترتيب إجراء مباراة على منتزه منزلها، خارج نافذة غرفتها تسمع ضجيج الصبية يتقاذفون الكرة، ثمانية عشر صبى، يتصايحون وهم يهاجون بالكرة على العشب؛ أخذت حماماً سريعاً وإرتدت الجينز وبلوزة، لا وقت للتأخير والتلكؤ، هبطت السلم وتناولت صفارة التحكيم؛ بدأت المباراة تمام الثامنة؛ وفى التاسعة خرج فيرمونت إلى شرفته يشاهد المباراة؛ فى التاسعة والنصف كان الفريقان يستلقيان على العشب من الإرهاق، هبط وإتجه ناحيتها، كان غضب مدمر مميت مرسوماً على وجهه.

«كيف، أليس مفترضاً أننى أكتب، كيف أواصل كتاباتى فى هذه الضوضاء؟».

«لماذا؛ لا أفهم، الأولاد يتدربون؛ ولا يمكنهم إستخدام المنتزه العام اليوم، لذا، كالمعتاد سمحت لهم بإستخدام فناء منزلى».

صحح لها «فناء منزلينا؛ تقصدين أن ذلك سيحدث دائماً؟».

صاحت «ياه، لا، فقط أثناء العطلة، أثناء العام الدراسى هناك فريق تنس؛ وكرة قدم، وهوكى البنات، والجرى» أطلقت صفارتها «هيا يا أولاد، حان موعد الشوط الثانى!».

صاح جويل فيرمونت «يا لها من لحظة لعينة، لن أتحمل هذا! على الأقل إبعديهم عن نصيبى فى الفناء!».

صاحت «لن يكفى، المباراة بحاجة للفناء بأكمله لن

نستطيع منع هؤلاء الأطفال، كما تعرف!!».

«أنا لا أعرف تلك الأمور اللعينة!».

لم تراه ولم تسمعه مادلين بقية اليوم؛ توقف اللعب لفترة الغذاء، وتبعه مباراة هوكى بعد الظهر، وذهبت مادلين للسرير ووجهها متغضن من الوجوم.

إستيقظت مادلين فى الصباح التالى؛ كان الفناء الخارجى الفاصل بين المنزلين قد قسم؛ كان هناك ثلاث رجال يعملون على إقامة حاجز خشبى.

خرجت من السرير وذهبت إلى النافذة الخلفية عارية القدمين، وشاهدتهم يقيمون السياج وغمغمت «أين ذلك الرجل؟» وردت عمتها «جويل؟ يجرى، على ما أظن؛ رجل لطيف».

«سأقطعه أرباً لمليون قطعة وأطعمه للببغاء!!».

«مادلين!!» سارت عمتها خلفها إلى المنتزه ومضمار الجرى، محاولة تجاهل العمال ــ الذين توقفوا عن العمل ونظروا إليها بإهتمام شديد وأطلقوا صفارات عديدة، جلست على الأريكة خلف التمثال المندى حينما جاء فيرمونت وجلس بجوارها، ونظرت إليه مادلين «إذن ــ تخفى نفسك هنا كل صباح؟» كان جويل يبدو بكامل صحته، ويبتسم إليها، وفجأة لم تشعر بالرغبة فى التحدث إليه عن أى شيء.

غمغمت «سأغمض عيونى؛ وأعد حتى عشرة حتى تختفى فى أى مكان تريده، ولا أراك هنا؟» إنسدل شعرها؛ وأصبحت عاجزة عن إيجاد الشريط الأزرق.

«لا تفعلى ذلك، أحب مشاهدة شعرك منسدلاً؟».

«حسناً، لن أفعل، أليس أمامك عمل ملح؟ تكتب عدة

سطور ــ شيء من هذا القبيل ؟ » .

« أنا دائماً أعتمد على ترحيبك ، ألا تلاحظين أننى أخذت باقتراحك ؟ » .

تنهدت « لن يحدث هذا ، ما زلت هنا ! » .

وضع قدمه فوق الأريكة « ليس الآن ، لا أقصد هذا بل أقصد السياج ؟ » .

« سياج ؟ أنها فكرتك أنت ، لقد عشت فى هذا المنزل سبع وعشرين عاماً ولم تكن بحاجة لسياج حتى جئت أنت !! » .

إبتعدت عنه حتى نهاية الأريكة .

قال لها : « أنا لا أعض ، كما تعرفين » .

« لا أعرف ذلك ، الببغاء يعرف ، أين هو بالمناسبة ؟ » .

« فوق منزلك ، العمة مارى ... » .

« إنها عمتى أنا وليست عمتك ، إسمها السيدة تيترولت ! » .

« طلبت منى أن أناديها بالعمة مارى ، على أى حال عمتك عرضت القيام برعاية الشيطان الصغير عندما أكون فى بوسطن » .

قالت مادلين لنفسها ، مرة أخرى ، هذا إحساس مجنون لأنه أعلن أنه سيسافر بعيداً ، لماذا إعتدت على رؤيته هكذا ؟ وسألته « كم ستغيب ؟ » .

بدا على وجهه إحساس بالإهتمام والإعجاب ، « يومين أو ثلاثة ، ربما أطول ؛ أمــى فى مشكلة يا إلهى ، أمــى دائماً فى مشكلة ؛ أساساً معى ، آسف لقولى هذا ، ربما ؛ أنا لست أفضل إبن فى العالم ، لاتعليق ، لا ملاحظات لطيفة ؟ » .

« تعاطفى كله مع والدتك ، المرأة المسكينة ربما تعانى من

أعصابها ! » وضعت يدها على فمها ليس هذا ماتريده « إبعد عن شارع ماكجريث » وبدلاً من ذلك وضعت نفسها فى موقف الدفاع عن المرأة ، لم تقابلها أبداً ، لمحت لمعان عينيه ، وقالت إنه يبدد راحة عقلى ! غمغمت « إبعد عنى ، من فضلك !! » .

« حسناً ، مسألة وقت ، معظم النساء يقعن فى حبى خلال أربع ساعات ، وأنت بحاجة لوقت أطول ، يا مادلين كاربونيو !! » .

صاحت « لماذا ، أيها المغرور المتغطرس !! مشاعرك مثل هذا التمثال الخشبى المندى ! » إستدارت حتى لايرى الدموع فى عينيها ، وبدأت الجرى بعيداً عنه ، سمعت ضحكته العالية فى أعقابها وهى تمر أمام التمثال .

كانت العمة مارى جالسة فى المطبخ حول المائدة عندما جاءت مادلين ، كانت العجوز ترتشف كوب الشاى وتقول : « آه يا قطتى » .

صاحت مادلين « هل القطة بالخارج ! » ظهرت القطة على الفور ، أغلقت الباب خلفها وإتجهت إلى عمتها « ماذا حدث يا عمتى ؟ » .

« حسناً ، لست متأكدة ؛ طلب منى جويل ليلة أمس رعاية الببغاء لفترة ، وجاء فى الصباح يسأل عنه ، ودخلت القطة ، والببغاء ولا أتذكر ما حدث ــ أحدهم نقر يدى ، ووقع إفطارك على الأرض » .

وهى تلاطفها « لا تقلقى ، ماذا حدث بعد ذلك ؟ » .

« بعد ذلك ، لا أدرى كيف يتحدث ! » .

توقف الببغاء ليسمع الحوار وعندما إختفت القطة خارج

الباب بدأ يقول: «قطة مجنونة، صقر! إنظرى للمنقار الجميل!».

قالت بحسم: «كلمة زيادة منك، وسأضربك!!» طار الببغاء متثاقلاً، ووقف عند حامل الستارة «قلبك قاسى!!».

لاطفت عمتها «لا شيء يضايقك يا عمتي، سأنظف المكان، وسأذهب لإحضار قفص الببغاء، لن أذهب للعمل اليومين القادمين، ولن تكن هناك متاعب، لماذا لا تخرجين للشرفة الأمامية للراحة؟ أعضاء نادى البريدج سيجيئون بعد الظهر، أليس كذلك؟».

لمع وجه العجوز «نعم، هذا المساء، وسيكون الببغاء هنا، أتظنى أنك تستطيعين جعله يتحدث أثناء جلوس السيدات هنا؟» نظرت بقلق، فهى تعلم منذ زمن أن مادلين تستطيع عمل أى شيء.

«أنا واثقة أن الطائر سيتحدث، لكننى لا أخن ذلك وماذا سيقول، هل أنت واثقة أنك تريدينه؟».

لم تكن العمة بحاجة للإجابة، كان تعبير وجهها يقول كل شيء، الفرح، السرور، الإثارة كما لو كانت طفلاً يسعد بأول لعبة يمتلكها!!.

تأثرت العمة عندما تأبطت مادلين ذراعها وهى تتجه إلى الشرفة، وتستريح فى مقعدها، جلست مادلين معها لفترة، حتى أغمضت العمة عينيها وغرقت فى النوم، بينما عاودت مادلين ذكرياتها لقد أغلقت العمة منزلها على شاطيء البحيرة وجاءت هنا منذ خمس وعشرين عاماً، عندما تيتمت مادلين فجأة، ومسحت عنها كل دموعها وأغرقتها فى حنانها، الجميل الذى لن تنساه للأبد، هكذا أكدت مادلين لنفسها بحسم، ودخلت

لتنظف المطبخ، ودخلت الحمام وتركت بابه مفتوحاً كالمعتاد، حتى تستمع إذا نادتها عمتها، لكن الببغاء جاء ليزعجها ووقف على جانب المواسير، وحدق فيها، ونعق:

«الصغيرة الرقيقة؛ بوللى يريد قرع طبوله!!».

«كفى هذا الآن!!» وقفت مادلين محاولة إخفاء جسدها، مفترضة أن الببغاء ذكى فعلاً، ثم قهقهت، يا لها من غبية، أهى خريجة جامعة وتخجل من ببغاء!! أم أنها تخشى أن يصفها لصاحبه!!

أبعدت الببغاء، وأنهت حمامها، ثم هبطت لتطمئن على مائدة اللعب المعدة لإجتماع نادى البريدج لعمتها، واستقبلت السيدات الخمس العجائز؛ اللاتى يجئن مرة إسبوعياً منذ خمس وعشرين عاماً، وكالعادة قالت لها السيدة ماهونى «ياه، كم كبرت يا مادلين!!».

إستيقظت العمة، بعد وصول السيدة ماهونى، ونظرت إلى الصالون المغلق الذى لايستخدم إلا عند زيارات القسيس أو عندما تكون الفتاة محظوظة عندما يجيء العريس ليتحدث فى أمور وترتيبات الزفاف.

بعد إنتهاء مراسم استقبالها لضيوف عمتها، تذكرت واتجهت لمنزل جويل فيرمونت لإحضار قفص الببغاء المعلق فى الشرفة الخلفية، وعادت بالقفص وهى تضعه نعق الببغاء «ها أيتها الصغيرة الرقيقة» ردت مادلين «أنت الذى ستدخل فى القفص بنفسك» وعندما رأته يغمض عينيه ويلقى بنفسه داخل القفص صاحت «آه، اللعنة، لو قتلته سيقتلنى صاحبه، أيها الببغاء!!» فتح الببغاء عيونه، ونظر إليها «إستيقظى إستغفلتك يا صغيرة!» أغلقت باب القفص وهى لا تصدق،

وأدخلت القفص إلى الصالون للتأثير فى نادى البريدج .

بعد فترة رحلت السيدات ، كانت العمة قد تناولت عشاءها ، وكانت مادلين قد أنهكها التعب ، رغم ذلك إتجهت إلى الشرفة الخلفية ونظرت إلى السياج ، وفكرت لو كنت خبيثة ، لكنت حطمت هذا السياج ، أو تزوجت ذلك الرجل حتى أعلمه شيئاً !!

نعم ، وافقها صوت وعيها الداخلى ساخراً ، هذا يعلم أى شخص شيئاً .

كان يوماً شاقاً مرهقاً طويلاً ، وهى متعبة ، إنفتح باب المطبخ وجاءت العمة مارى لتقف بجوارها سألتها « ماذا ستفعلين ؟ » .

« سأنتهى من إعداد البطيخ » .

« هذا جيل » وعادت العمة إلى الداخل لتفحص شغل إبرتها !!

www.elromancia.com

الفصل الرابع

الصفقة

قالت مادلين لعمتها « لا أدرى متى نالنى الإرهاق هكذا » وألقت بنفسها فوق مقعد « تلك المرأة الحمقاء جعلتنى أذهب لثلاثة منازل مختلفة فى يوم واحد ! » .

كانت العمة تحضر الشاى بالطريقة القديمة وإلتفتت لتربت على كتف إبنة أخيها « لكنك بعت لها الأخير؟ » .

كررت مادلين « بعت لها الأخير» وكأنها تظهر الرضا عن الذات « وأخشى أنه آخر منزل أبيعه يجب أن أبكى على كتف هنرى إستعطفه ليسمح لىّ بالقيام بالمهمة ؛ عادة مندوب المبيعات يبيع ثمانى أو تسعة منازل فى العام ، وأنا بعت عشرة هذا العام ؛ وهنرى يريد تكليفي بمهمة صعبة ؛ وأن أخذ راحة لإتاحة الفرصة لمندوب المبيعات الآخر!!

علقت عمتها « ليس من العدل البكاء لإستعطاف هنرى ، مسألة بحاجة لمهارة خاصة وفتنة وتكتيك ومناورة للنجاح فى بيع الأشياء ، وأنت تتمتعين بتلك الصفات ، ولا أدرى لماذا كل تلك الصفـات العائلية تجرى فى دمك ! » .

« آه يا عمتى ؛ هذا منذ زمن ، ألا تغفرين أبداً زواج أختك

من جدى ؟ بالمناسبة لم أسمع عن عطيل الصياد ؟ ولم أراه منذ إسبوع ؟ » .

«عطيل ــ آه تقصدين مستر فيرمونت ، جويل ؟ » غطت إبتسامة عريضة وجه العمة العجوز ، أخشى أنه غير سعيد بجواره لنا » .

سألتها مادلين « كيف هذا ؟ » تململت فى مقعدها « ماذا فعلنا ؟ » .

« لا أدرى ، فى البداية كان لعب الأطفال فى الفناء ، ثم بعد ذلك منذ يومين كان فريق الهوكى يلعبون فى الشارع أمام منزله ولم يبتعدوا ، كل يوم يحدث شىء ، مزعج له ، قلت له أن لك أصدقاء وسط كل هذه المجموعات ، بسبب تاريخك الرياضى وإقترحت عليه أن يطلب مساعدتك ، المضحك أنه مشى وهو يتمتم بشىء أنه الذى يتصرف معك ــ يا إلهى ، كان غاضباً ! وبعد ظهر أمس ــ » .

« ماذا حدث أمس ؟ » .

« قالت إن القطة عضت الببغاء ، يا لها من فكرة سخيفة ! كما لو أن قطتى تريد أكل هذا الطائر النحيف الخشن العجوز ! قال جويل أن عمره أربعين سنة !! » .

« تقصدين أن جويل عمره أربعين عاماً ــ » .

« لا تكونى سخيفة ، الببغاء ، جويل عمره ثلاثة وثلاثين فقط » .

« آه ، الببغاء ، عجوز ولطيف » .

« الببغاوات تعيش طويلاً ، فقط تذكرى أن عمرى ضعف عمره ! » كانت دعابة من العمة ، التى ضحكت طويلاً .

« إذن أين الصياد الأبيض العظيم ؟ » .

« لماذا ، لم يرجع إلى منزله ، منذ الصباح ليس لدى أى فكرة ــ » .

كانت نوافذ المطبخ مفتوحة لإجتذاب أى نسمة هواء ، وفجأة هب الهواء ؛ وسمعت صيحات عنيفة ونعيق الببغاء ، ومواء القطة ، كانت عنيفة وتكفى لإيقاظ وبث الحياة فى التمثال .

صاحت مادلين « يا إلهى إنه يقتل قطتنا ! » .

« بالتأكيد لا ، يا له من رجل لطيف ! » .

أصرت مادلين « يمكنك إستماعه ! » وأسرعت مادلين وهى تصيح غضباً وهى تعبر السياج ، خرج جويل فيرمونت من الباب الخلفى لمنزله وهى تصعد السلم ، وتساءل « اللعنة !! ألا يكفيك أن قطتك جرحتنى وجئت لتنضمى إليها ؟ » .

تجمدت مادلين مكانها وتطاير منها حذائها ، وحدقت فيه كان بلا بنطلون ، كان الدم ينزف من كتفه « ما هذا ؟ ــ » .

« قطتك اللعينة إنتزعت قطعة منى ! » وهو يضغط ذراعه بيده ، « ألا يكفيك الدم ، أم يجب تقديم إعتراف بتوقيعى ؟ » .

قالت بلهجة حاسمة « قطتى لا تهاجم أى إنسان ، فهى لديها حب عميق للبشر ، إذن ماذا فعلت لتجبرها على الدفاع عن نفسها ؟ » .

نظر إليها ساخراً « إنظرى أيتها الفتاة الصغيرة ، قطتك اللعينة تسللت إلى منزلى كلما أدرت ظهرى ، وهاجمت الببغاء بنية قتله ، وقفزت فوقى عندما حاولت حماية الببغاء ، يا إلهى الرحمة ؛ أين ذهب الببغاء ؟ » .

« من يهتم ؟ أين قطتى ؟ » .

« إلى الجحيم أنت وقطتك » إصطدمت مادلين بسور الشرفة

رعباً من إنفجار غضبه ، « ببغائى عجوز ، لا يتحمل هذه الإثارة ! يمكن أن يقع ميتاً بالسكتة القلبية !! » .

وافقته « لن يحدث لطائر لطيف ؛ أظنك تقصد أن تقول لىّ أن ببغاءك لم يهاجم القطة ؟ لم يتطاول لم يثيرها ، لم يضع سياجاً لمضايقة الجيران ؟ » .

« لا ! ألا تفهمين ؟ قطتك هاجمت الببغاء وهاجمتنى الآن ، أين الببغاء ! » من أعلى الشجرة جاء صياح الببغاء « الصغيرة اللطيفة ، الصغيرة الرقيقة ، الطفلة اللطيفة » وهبط فى دائرة قصيرة وإستقر على كتفه .

غمغم جويل « الآن رأيت ماذا فعلت » نقر الببغاء كتفه ودفن رأسه كأنه يعبر عن شوقه له .

صاحت مادلين « من ، أنا ؟ أنظر ماذا فعلت ! أخيراً طائر يداعبك !! ، ويتظاهر بالموت » .

« نعم ؛ أنظرى ماذا فعلت ، لا يرضيك تحريض قطتك ضدى ، أيضاً تريدين طرد ببغائى ! أعتقد يجب أن تخجلى من نفسك !! » .

وافقته وهى تشتعل بنار الغضب « أستعطفك أن تظل على فكرتك هذه ، الآن أين قطتى ! » .

أشار بيده إلى الباب « هذا المنزل به أربعة عشر غرفة وإثنى وعشرين دولاباً ، قطتك تختبىء فى أى مكان بها ، ما لم تكن قد هربت من النافذة ، كما هرب الببغاء !! » .

صاحت « قطتى لا تطير !! أعتقد يجب أن أقاضيك فى المحكمة ، الآن هل ستحضر القطة ؟ » .

قال واجماً : « ولا فى عمرك كله » كان الدم يتساقط من راعه ، أدركت مادلين فجأة بشاعة الجرح . وقالت : يمكننى

تضميد جرحك » إبتعد عنها كما لو كانت دقت جرس وصاحت « ملوث ! » .

« ولا فى عمرك كله ، أفضل أن يقوم الببغاء بتمريضى لا أنت ، أى شىء تلمسينه يا سيدتى ، يتلف ــ حسناً ؛ إبحثى عن قطتك اللعينة !! » .

غمغمت غاضبة « ليست قطة لعينة » ودخلت المطبخ ، وتجولت فى الغرف ؛ ونادت على القطة .

غرفة المعيشة المغلقة ، والنظيفة ، ثم كل الغرف فى الطابق ؛ دون جدوى ؛ وهى فى منتصف السلم صاعدة للطابق الأعلى نعق الببغاء « إلى أين يا صغيرة ؟ » توقفت لا يعقل أن يمتلك الببغاء كل هذا القاموس وهو لا يعى وقالت له : « أبحث عن قطتى » بمجرد نطق كلمة القطة طار الببغاء فى الهواء بصعوبة ، ربما بسبب شيخوخته دار فوق رأسها عدة مرات ، ووقف فوق الدرابزين ليشاهدها ، قالت لنفسها مثل صاحبه .

كان الطابق الثانى غارقاً فى بحر من الصمت وحجراته مغلقة ، بحثت فى جميع الغرف ، غرفة واحدة هى آخر غرف الجناح الأيسر يبدو أنها غير مأهولة ، بها سرير صغير بجوار الحائط ، ومكتب له مقعد مريح ، وآلة كاتبة فى مواجهة النافذة ، نادت على قطتها ، من خارج النافذة تهادى إليها مواء شاحب للقطة ، صاحت وأسرعت إليها ، إزاحت الآلة الكاتبة وحاملها من طريقها ، وحزمة أوراق سقطت على الأرضية ، وأطلت من النافذة دون الإلتفات لما أوقعته ، كان قلبها قد تقافز وكأنه فى فمها ، فى الخارج بعيداً عن متناول يدها بعدة بوصات كانت القطة متعلقة بآخر شعرة تربطها بالحياة ؛ غمغمت مادلين « آه يا قطتى ــ ! » مالت بجسدها للخارج بأقصى ما يمكنها

ومدت يدها، ولكنها لم تطل القطة.

«اللعنة ماذا تفعلين الآن!» دخل جويل الغرفة خلفها وخطا ناحية النافذة «لماذا، أنت مجنونة رسمية!» صرخ فيها وهو يجذب بنطلونها من الخلف.

صاحت فيه «قطتى!! لقد أوقعه ببغاؤك فى هذا الفخ!!».

«كان لن يذهب خلف الببغاء لو كنت تقدمين له طعاماً أكثر، تعالى؛ يا فتاة، لن يمكنك الطيران والقط أبعد منك!».

إلتفتت مادلين حولها، فعلاً المسافة بعيدة إستعطفته «إجذبنى!».

جذبها بعد أن تمزق جزء من بنطلونها وقيصها وإصطدمت بمائدة الآلة الكاتبة، ووقعت فوقها.

«ماذا تفعل!» صرخت فيه وهو يجذب قدمها بشدة، ولمحت آلته الكاتبة؛ ولقد تمزق بنطلونها، وهى بحاجة لإستخدام يديها معاً لتغطية ما إنكشف، وتزايد غضبها «لماذا أيها الوحش! أنظر ماذا فعلت؟».

تنهد جويل «أنا أنظر فعلاً، يا إلهى، كيف سمحوا لك بأن تظلى على قيد الحياة حتى يصبح عمرك خمسة وعشرين عاماً».

إحتجت بغضب «سبعة وعشرين، أنظر إلى بنطلونى! وقيصى! إشتريتهم فقط منذ إسبوعين!!».

«يجب ألا تثقى فى مصانع البنطلونات، أنظرى إلى آلتى الكاتبة، لقد إشتريتها منذ ثلاثة أسابيع فقط! وإنظرى إلى مخطوطاتى!» وإنحنى راكعاً على ركبتيه ليجمع أوراقه المتناثرة.

صاحت «ها ها!! مجرد حزمة ورق!! الطريقة التى تعيش بها لا تجعل المرء يفرق بين المخطوطات والأوراق

المهملة!!».

قال ببطء ووجوم «لو فقدت أى صفحة من هذا المخطوط؛ سأكسر عظامك، بداية من إصبعك الأيسر الصغير حتى عنقك! أتفهمين هذا، يا إمرأة!».

لم يضايقها تهديده، بل مضايقات اليوم كله، ركعت على ركبتيها بجواره، وبدأت تجمع الأوراق بيديها، ولمحت دون وعى الصفحات وجدت المكتوب رواية رومانسية! إذن هذا مايكتبه، قالت لنفسها بوجوم.

إرفع يديك عن الأوراق» وإختطف الأوراق منها، الورقتان الأول تمزقت حتى منتصفها، وقف ببطء على قدميه وهو يحدق فيها نظراته تقدح بنيران الغضب القاتل، وقفت مادلين، يدها على فمها، وقالت: «لا تجرؤ أن تضربنى» تلاشى غضبه، وحل محله إبتسامة باهتة.

«لا، لا أضرب البنات أبداً» تراجعت مادلين للخلف حتى إستند ظهرها للحائط، سيطر الخوف على ذهنها، خوف وإثارة، تلاشى غضبها؛ أسرع مما ظهر، ويداها ترتعشان وهى تطويها على صدرها.

«إذن أنت لا يعجبك السياج، ليست هذه الحقيقة بشأن السياج والجيران الطيبين؟».

«أفضل أن تضربنى» وإتخذت وضعاً دفاعياً.

«لم أعتاد تلقى الخيارات من أحد، تعالى الآن ولنتقاتل، خذيها كرجل، أقصد كإمرأة!».

سمعت حركة خفيفة عند النافذة، بجانب عينيها لمحت القطة قد أنقذت نفسها وعادت، وغمرت الراحة عقلها وإلتفتت إليه، وهى فى تمام الإستعداد، ذراعيها يداها، وقدميها مستعدة

لركله، لكن ذهنها شارد ولذا عندما تقدم نحوها وطوقها بذراعيه كانت فى حالة إستسلام تام!!

«لا تفعل ذلك» كان صوتها مشبعاً بعاطفة طاغية.

«تقصدين هذا؟» وإنحنى عليها ولامسها بشفتيه وهى مغمضة العينين، وعاود تقبيلها قبلة رقيقة حتى أسقط آخر حائط دفاعى كان أغلق شفتيها، وإحتضنها وهو يقبلها قبلة بثها عاطفته وأصبحت اللحظة كأنها العمر كله، وتدافع جريان دمها فى عروقها وصمت أذنيها ولم تعد ترى سواه، ولكن شىء داخلها كان يقهقه ساخراً منها هكذا وأنت تدعين كراهيته!!

حركت يدها وكأنها تبعد عنها تلك الفكرة وبالمصادفة ضربت كفها عينه «يا إلهى، بالإضافة لكل ما حدث، كنت ستفقعين عينى!!».

صاحت «أنت تستحق ذلك، تستحق كل ما جرى لك أنت، أنت وحش!! أتمنى أن تنزف حتى الموت!!».

«مـاذا؟».

«أنا ـــ» وإحتضنت قطتها تحت إبطها وأسرعت تهبط السلم كما لو كان الشيطان يطاردها، وعندما أصبحت فى الشرفة؛ وأغلقت الباب خلفها وأدركت أن الشيطان لا يتعقبها، ولا حتى جويل فيرمونت.

عندما عادت من النافذة بعد ذلك بعدة أيام داعبتها العمة مارى «رجل لطيف؛ كان فى المنتزه يلعب الكرة مع الأولاد».

«الأفضل أن يتجنبوه، سيسرق نخاع أسنانهم وكرتهم أيضاً» غمغمت مادلين، كانت مستلقية على الأريكة فى غرفة المعيشة وقدميها تحتها، كانت الساعة السابعة مساءاً قبل رحيل

آخر ضوء للنهار بساعة ونصف، وعادت مادلين مرهقة بعد يوم طويل بحثاً عن وظيفة إضافية لكن حمام دافىء أزال التعب، وأنعش روحها وهى الآن مسترخية مرتدية التى شيرت، وقالت: «سأنام مبكراً الليلة، وأقضى عطلة نهاية الأسبوع الطويلة البطيئة، سأذهب يوم الإثنين إلى واير، أتريدين القيام برحلة يا عمتى؟».

«أنا؟ فى واحد من القوارب بسرعتها الجنونية؟ أبداً».

هزت مادلين كتفيها، فى عمرها هذا وتختار العمة مارى لها رياضتها وأوقاتها «آه، حسناً، سأذهب وحدى».

أصرت العمة «ليس آمناً، على الإطلاق، حسناً، تأملى ذلك!».

«أتأمل ماذا؟».

«لماذا، مستر فيرمونت قادم ناحيتنا؛ قفز السياج بالخفة حركته! أليس هذا لطيفاً؟».

إعتدلت مادلين «قادم هنا؟ لا، ليس لطيفاً أغلقى الأبواب؛ أطفئى الأنوار، حتى يعتقد أننا لسنا هنا!!».

تعجبت العمة مارى «أى سخافة هذه؟ أين سلوكياتك الراقية يا مادلين!! ربما يريد الرجل المسكين التحدث مع أحد، شخص ناضج!!» وإبتسمت المرأة العجوز وهى ترقبه.

«لا تسمحى له بالدخول؛ ربما يريد إنهاء ما بدأه الإسبوع الماضى!» لكن تحذيرها كان قد فات أوانه، فهى تسمع الآن ترحيب عمتها به، ودعوته للدخول. وقالت مادلين وها أنا جالسة بملابسى الرقيقة؛ لماذا دائماً أكن فى موقف ضعيف عندما يأتى هنا؟.

تبادلت عمتها حديثاً قصيراً فى المطبخ معه، بينما أسرعت

www.elromancia.com

هى بصعود السلم ، بعصبية أعادت ربط مشبك شعرها على شكل تسريحة ذيل الحصان ؛ ثم جلست على الأريكة وتناولت مجلة تتصفحها ، السيدة مادلين كاربوينو فى المنزل بأرق ملابس السهرة ! ولسوء الحظ أن المجلة التى تناولتها كانت أخبار الرياضة .

قالت العمة وهى تدخل غرفة المعيشة « ألا تنظرى من عندنا ! » وهى تدفع جويل أمامها ، كانت العجوز فى قمة الإثارة ؛ كما لو كانت قد حققت هدفاً كبيراً على طريق أهدافها العظمى .

أخفضت مادلين المجلة ونظرت إليه من قمة رأسه لإخمص قدميه ببرود ، رغم أن عمتها تلاحظ توتر مشاعرها وقالت مادلين « آه ، من ؟ » قالت العمة مارى وهى تتجول فى الغرفة « لماذا ، مستر فيرمونت ، طبعاً ! » .

غمغمت مادلين « آه ، هو » .

« مادلين ! » .

سمعت نفسها بصوتها تقول : « مساء الخير يا مستر فيرمونت كم نحن مدينون لك بهذا الشرف ؟ » .

أجابت العمة « سأذهب وأعد كل شىء » وذهبت قبل أن تكتشف مادلين ، فى مواجهة الأريكة تناول جويل مقعده بحذر وكأنه سيعضه ثم جلس ، لاحظت نظافة هندامه الفائقة ، لا شعرة واحدة فى غير مكانها رغم أنه رجل معتاد على لعب كرة البيسبول مع الأطفال !!

قال : « تعجبنى عمتك » كما لو كان دبلوماسياً يعلن حالة حرب ، كانت يداه على ركبتيه ، عيناه تتفحصانها .

« وكذلك أنا ، عمتى العظيمة ، فعلاً » وإعتدلت لتنزل

قدميها لتتدلى على الأرض ، وجذبت طرف جونلتها ، بسبب عصبيتها من نظراته .

قال بهدوء : « لا أريدك أن تقحمى عمتك فى تلك اللعبة التى نلعبها معاً » للمرة الأولى تسمعه يتكلم بمثل هذا الصوت الخفيض ، كان مثيراً لها جداً ، وأقل عجرفة وغروراً .

أجابته بغلظة « أنا لا ألعب أى لعبة معك » وقالت لنفسها لقد إنخفضت درجة حرارة الغرفة عشرة درجات لا مفر سأستسلم له ، لا مفر !! وأضافت له « ربما يهمنى أن تقول لىّ لماذا جئت هنا ؟ » .

بدأ « لقد تحدثت طويلاً مع أمــى وهى ــ » .

قاطعته « يسعدنى أنك وجدت فرصة لزيارة أمك الآن ، نحن مدينون لك بهذا السرور ؟ » .

« لماذا ، عمتك دعتنى لتناول العشاء ، فلقد لاحظت أننى لا آكل » .

« آه ، فقط عليها أن تنظر فى عينيك لترى ذلك ، هل فعلت ؟ » سألته متهكمة « منزل محاط بأسوار ، لكن منزلى مفتوح ؟ أليس هذا مايعنيه سياجك ؟ » .

« لماذا ، أعتقد أنه منزل عمتك ، أيزعجك أن تأكلى مع رجل مهذب مثلى ؟ » .

« لا أدرى ، ولن أكتشف هذا الليلة ، ما لم يظهر شخص دون توقع ، وهذا منزلى » .

بدأ يقف « الأفضل إذن أن أذهب » قبل أن تدرك فظاعة ماتفوهت به ، وإستعطفته « لا من فضلك ، لا تذهب ، هذا فظيع ما قلته ، أنا أمتلك المنزل فعلاً ، لكنه منزل عمتى مارى ، ولو أرادت أن تدعو الشيطان نفسه للعشاء ، إذن فن حقها تماماً

www.elromancia.com

فعل ذلك » .

جلس فيرمونت في مقعده « ولقد فعلت ، أليس كذلك ؟ دعت الشيطان ، أقصد » .

أجابته بمرارة « مجرد إستخدام تعبير قديم ، أتمنى أن يكون البيغاء بخير ؟ » .

تحداها « أفضل من ماذا ؟ البغاء يعيش طويلاً ، لا أظنه يحسب الأيام بحساب حلوها ومرها » .

« أحاول التحدث في أي موضوع ، أنا فقط ــ هل تريد الحديث عن الطقس ؟ أو السياج ؟ » .

« ليس هكذا ، على أي حال ، لدى فكرة أن السياج كان خطأ ، لكن أمي تريده ؛ وهو منزلها ، كما تعرفين ماذا غير ذلك تتحدث عنه في هذه المدينة ؟ » .

حدقت فيه ؛ صدمها ما قاله ، منزل أمه ، وتريد السياج ! وطيلة الوقت وهي تلومه ، وشيدت هرماً من الشكوك حول فهم خاطىء !! .

« هناك أشياء كثيرة ، الحياة والموت ، والأطفال وكل الأشياء التي يفعلها السائحون ، وحكاية أنه منزل أمك ؟ وسياج أمك ؟ » .

تنهد جويل « نعم ، وهي تخطط للمجيء ولتعيش هنا بأسرع ما يمكن » كأن شيء لدغ أذنيها ؛ لهجته فيها إحساس غير سعيد بمجيء أمه ، ووجدتها فرصة وقالت : « تعرف ، بمجيء أمك ، ومع بدء العام الدراسي يجب أن تبحث عن مكان منعزل للكتابة » .

رفع رأسه ، وللمرة الأولى إبتسم لها « هل أنت مهتم ، هناك منزل قديم جميل على شاطىء البحيرة معروض للبيع ، به غرف

كثيرة ، ملائم جداً لكاتب يبحث عن الهدوء » .

« ربما أهتم بمشاهدته ، طبعاً ، فأنا لا أشترى سمكاً في الماء ! » .

« لا ، طبعاً » وساد الصمت بينهما ، بحثت عن موضوع آخر ، بينما ذهنها مشغول بالعمولة الضخمة التي ستربحها لو تمت الصفقة ، فضلاً عن إبعاده عنها بمسافة عشرين ميلاً !! يا لها من صفقة مربحة ؟ .

سألته « كيف تمضي كتاباتك ؟ » .

يبدو أنها إختارت الموضوع غير المناسب « ليس بطريقة مرضية ، أنا بحاجة لإلهام ، أو ربما بسبب هذا المكان اللعين » .

« هذا ما ذكرته بالضبط ، أنت بحاجة لمكان منعزل تماماً هناك مائتين أربع وسبعين جزيرة في بحيرة ويني بيسوكي ، معظمها عليها بيوت ، ربما مورشيسون ملائم لك تماماً ، طبعاً ، ربما ستجده حلماً ، مزرعة ضخمة نسبياً » .

« ما هذا الذي أسمعه ، صياح مندوب مبيعات على مزرعة !! » .

« تأمل كيف ستتحسن أمورك ، في جزيرة كلها تحت أمرك ، بعيدة عن جيران متطفلين وقططهم !! لماذا ، ربما تصيب الكرة رأسك ، هناك يمكنك اللعب بالكرة مع ببغاءك !! ، عندما تفتح المدارس ستسمع ما يجري في الشارع ؛ السيارات ؛ أتوبيسات التلاميذ ، لعب الأطفال وصياحهم ، شيء فظيع !! هل ستجيء أمك في الصيف !! » .

« وأنت تعرفين أن هذا المنزل يلائمني ، أليس هذا مقنعاً ! » وضع قدماً فوق الأخرى .

« إقترحت « سأناقش هذا مع هنري ، لنتأكد أنه ملائم » .

سألها « هنرى ؟ من هنرى هذا ؟ » .

« هنرى لوفلورين ، صاحب الوكالة » .

« وهذا كل شيء عنه ؟ » رفع حاجبيه بطريقة يعجز القيصر عن تقليدها ، قالت لنفسها ، ماذا حدث ؟ وقالت له : « حسناً ، هذا شيء واحد عنه » .

بدا أنه سيقول شيئاً ، لكن عندما جاءت العمة مارى من المطبخ ووجهها مضيء « آه ، وجدتم شيئاً لطيفاً تتحدثون عنه ؛ كما أرى ، حسناً ، إستمروا تعالوا المطبخ سيكون أفضل ، بمجرد عشاء خفيف كما تعرفون » .

دخلوا المطبخ خلفها ، وعند الباب جاءت القطة لتنضم إليهم ، وعندما لمحته ، أحنت ظهرها وتراجعت للخلف ، وقالت العمة « أليس هذا غريباً لم أرى القطة تفعل هذا أبداً ، عندما يكون طعامها فى المطبخ ، ما الخطأ ، يا مادلين فى رأيك ؟ » .

« شيئاً أكله بلا شك » إجابة غامضة تعنى شيئاً !!

كان العشاء شيئاً مميزاً ، وقالت العمة مارى « قال لى جويل إنه لا يواصل كتاباته بشكل مرضى ، ما يحتاجه الإلهام » .

ردت مادلين بأدب « لا أظن أن بإمكانى مساعدته ، ما نوع الإلهام الذى تبحث عنه يا مستر فيرمونت ؟ » .

أصر « نادنى جويل ، صعب تفسير ذلك ، أنا أكتب ... حسناً ، رواية رومانسية تاريخية و ... » .

قالت مادلين بنعومة « آه ، واحدة من تلك الروايات الرائجة ؟ خمسمائة صفحة من عذابات الحب ؟ » .

ردت العمة « مادلين ؟ » .

أصرت مادلين « حسناً ، هذا حقيقى ياعمتى ، هذه الروايات توزع أعلى أرقام فى توزيع الكتب ، الوقت تغير ، لم

تكونى تسمعين عن الكتابات المكشوفة فى شبابك ؟ » .

أجابت العمة « سمعت ، لكن ليس فى الكتب ، ولا يجب أن نتحدث عن ذلك حول مائدة الطعام ، يجب أن ألوم نفسى على طريقة تربيتك يامادلين آنيت كاربونيو! » .

شردت مادلين ، لقد أغضبتها وقالت : « أنا آسفة » .

قالت العمة : « هذا أفضل ، نحن جميعاً نخطىء يا جويل ، يجب أن تغفر للصغار » .

« طبعاً » أجابها .

واصلت العمة كلامها « الآن أنا واثقة أن مادلين يمكنها مساعدتك فى بحثك ، وهى يوم الإثنين فى إجازة » .

إحتجت مادلين « لكن ، ياعمتى ــ » .

واصلت العمة وتجاهلتها « بالإضافة أنها تحتاج لمن يصاحبها ، وأنا واثقة أنك ستجد ما تبحث عنه هناك فى وايرز » .

أضافت مادلين ساخرة « آه ، سيجد فعلاً ، سنجد الإلهام الذى يحتاج مستر فيرمونت » .

تساءل « وايرز ؟ » .

شرحت العمة له « مكان يسمى شاطىء وايرز قناة صغيرة بين البحيرة والخليج ، إعتاد الهنود نصب الشباك هناك لصيد الأسماك ، وأحياناً يقيمون الفخاخ ، جزء من تاريخ هاميشاير ، واثقة أنك ستستمتع بذلك » .

وافقتها مادلين « نعم ؛ واثقة أنه سيستمتع ربما يحقق هدفين ، جويل يمكنك الذهاب إلى جزيرة جلورى وتشاهد مزرعة موريشسون ؟ » .

تساءلت العمة « لماذا ، رأيتها مرة منذ سنوات يقولون أنها مأهولة بالعفاريت و ... » .

« عمتى ... » .

سألتها العمة « هل أنا مفسدة الجماعات !! » .

أكد لها جويل « لا ، أبداً ، مسكونة بالعفاريت ؟ هاها ؟؟ أنا دائماً مغرم بالمساكن المسكونة بالعفاريت ، سنذهب يوم الإثنين ، بعد أربعة أيام ، تمام ؟ » .

فكرت مادلين ، الرجل دائماً هو صانع القرار ، ربما أقف لأحقق سبقاً وعملاً رائداً ؟ أو على الأسوأ ، ربما سأبيع له المنزل اللعين المسكون بالعفاريت !!

مر المساء سريعاً ، كانت العمة مرهقة ، تركت مادلين لتغتسل ، ولتنظف الأطباق ، لم تتوقع مشاركة جويل لها ، ولم يفعل ، وبمجرد خروج العمة ، عادت حربها تندلع نيرانها .

قالت : « يجب ألا تأتى » .

« نعم ، سأجىء ، عمتك ستغضب منى لو لم أذهب معك » .

« حسناً ؛ أنا لا أتطلع للمتعة ؛ أنا لا أحبك ؛ وأنت لا تحبنى ولا فائدة من المحاولة » .

« ربما ليس هذا صحيحاً تماماً مسألة الإعجاب هذه ؛ أحد مساوىء كون جارك رجل » ومضى إلى منزله وهو يطلق صفارته .

غمغمت مادلين « وجود رجل مشاكس أمام منزلى » وتساءلت « كيف يمكننى تحمل الوجود معه طيلة يوم كامل ؟ » .

كانت القطة تتمسح بقدميها الآن وقالت مادلين لها « أعرف ؛ تريدين الخروج لمعرفة ماذا أعددت لك الليلة ؟ » .

الفصل الخامس

منزل الأشباح

إقترح جويل عليها وهما ينحنيان عن الكوبرى العلوى بإتجاه شاطىء وايرز « لماذا لا تشرحين لىّ عن المكان ؟ » .

تنهدت ، فلقد جاء يوم الإثنين رغماً عن دعواتها وصل جويل بسيارته ، ولكنها من ناحية أخرى تمنت عمولتها بنسبة عشرة بالمائة لو إشترى المنزل .

وإرتدت ملابسها بعناية فائقة لا هى محتشمة جداً ولا متحررة جداً ، بنطلون داكن الزرقة وقميص أبيض ، كانت متلهفة على إتمام الصفقة والتخلص منه ، رغم أن الخوف يجتاحها لوجودها معه على إنفراد طيلة يوم كامل .

ردت عليه « لا شىء كثير يمكن أن أقوله ستتجه شمالاً بمحاذاة سلسلة بحيرات البحيرة التى هنا فى لاكونيا تسمى خليج أوبيش وهى مرتبطة بنهر صغير يربطها بخليج باجوس وهذا مرتبط عبر وايرز ببحيرة وينى بيسوكى ، ولو إتجهت جنوباً ستجد سلسلة كاملة من البحيرات تنتهى عند منبع نهر ميرى ماك » وقالت لنفسها « لكننى كنت أتمنى فى هذا الصباح خصوصاً ألا نترك شارع ماكجريث ، يامستر فيرمونت ، ربما

www.elromancia.com

أعانى من نقص الفيتامينات ؟ » .

تساءل « لكن بحيرة وينى بيسوكى هى أكبرهم ؟ » .

« طبعاً ، قطرها إثنين وسبعين ميلاً من المياه ، أنا لم أرى أبداً ميدان دائرى من المياه » وقالت له : « إستدير من هنا ، هبوطاً نحو ميدان شاطىء البحيرة وببطء ، إتخذ الجانب الأيمن للطريق » .

« هاه ، هل ذلك مخالف لقواعد المرور ! » أين سأجرج السيارة ؟ » كان الميدان ملىء بالسيارات .

نصحته « ليس هنا ، هذا العداد يحسب مدة النصف ساعة ساعتين !! » قاد السيارة ببطء ، أمام مبنى السيارات ، وقالت له « هنا كنت أعمل وأنا طالبة فى المدرسة العليا » .

سألها « أين سنتجه بعد ذلك ؟ » .

« فى شارع الكنيسة ، قبل المطعم تماماً » .

دخل الجراج بسيارته ، وخلفهم كانت صفارات السفن ، وسألها « كنت تعملين وأنت طالبة ؟ » .

« نعم ، طيلة فترة دراستى ، فيما عدا أيام الموسم الرياضى لكرة السلة » .

نزل من السيارة ، مد يده لها ، رفضته ، وثبتت قبعتها ؛ وهبطت ، وعارضها « هذه القبعة ليست ملائمة » وهما يهبطان المضبة ، القبعة كانت مشكلة ، كما تعرف هى ، يجب أن تسندها بيديها فالهواء شديد ، عند البحيرة ، عند قاع الهضبة توقف جويل ، ولحقت هى به ، وسألته « ماذا تقصد بأن قبعتى غير ملائمة ؟ » .

« قبعتك ؛ لو أراد أحد أن يقبلك فلن يستطيع وهى على رأسك !! » .

« إذن الأفضل أن يتخلى عن تلك الفكرة هل الرجال دائماً أحرار فى قبلاتهم يامستر فيرمونت ! » تشعر بالمتعة عندما تهاجم أى شىء .

رد عليها « حسناً ، ألسنا نحن الزاهدان الصغيران ؟ أعتقد أننى تركت كل ذلك ورائى هنا فى ماسا شوستس !! » .

« كيف أعرف ؟ المتسكعون المجانين ، تلك الأمور المعروفة ، هل ستقف هنا طيلة اليوم ؟ » .

« توقفت لتلحقى بى » .

« يمكنك الإنتظار للأبد » .

« سألها « ماذا وضع لك الشيطان فى سلة الغذاء » .

وأضاف هل ذهبت للتسوق من السوبرماركت » .

« بتحفظ أجابته « لا ، لم أتسوق هذا الإسبوع أحضرت بعض الأشياء من المنزل ، لماذا تسألنى ؟ » .

« لا شىء مهم ، أخمن أننى موظفاً فى محل بقالة » .

« لست بحاجة للتطفل ، لا شىء سىء فى كون المرء موظف فى محل بقالة ، السوبرماركت شىء مهم لحضارتنا !! » .

هز رأسه ، ومرر يده تلقائياً فى شعره « حسناً ، لم أفكر فى الأمر بهذه الطريقة » .

« يجب أن تفكر ، كما تعرف ، أحد الأمور السيئة فيك ــ » .

« أظن لا مفر من إيقافك عن الحديث ؟ » .

« لا مفر ، أنت مغرور ، هذه مشكلتك ، فقط بسبب كونك كاتب ناجح ، تنظر بإحتقار لموظفى البقالة !! سر الحياة السعيدة هو العمل الجاد أياً كان موقعك فى الحياة !! » نظرت

لتجد قبضتها قد تشددت كأنها تريد أن تلكمه. وتذكرت غضب عمتها وقالت: ياله من رجل مغرور!!

تحول جويل فيرمونت إلى شاب لطيف الآن وتأبط ذراعها، وهما يتجهان للمحطة، وعندما شاهد السائحين يتدافعون عند المرساة المؤدية إلى الشاطىء قال: «مجانين!! لا يفعلون شيئاً كهذا فى بوسطن!!».

ضحكت مادلين «ميناء بوسطن سىء جداً، حتى أن السمك يضطر للمشى هناك!! هنا نحتاج جهداً للحفاظ على نظافة الميناء والبحيرة، فهى ثروتنا وخبزنا وعسلنا!!».

قادته خلف محطة السكة الحديد إلى منطقة صغيرة حيث الطريق الواسع مفروش بأرائك وموائد خفيفة، كانت هناك لحسن حظهم مائدة خالية تحت الظلال، شرب قهوته، وشربت هى البيبس عاد لموضوعه الرئيسى «البحث؟ أين؟».

«هنا مباشرة» أشارت أمامهم إلى شجر يغطى المنتزه الصغير، تنهد «يا إلهى!!».

وافقته مادلين، كان المكان مليئاً بالنساء والرجال، من كل الأعمار والأشكال والأحجام، ومختلف الملابس، وأيضاً العرى، قالت له مادلين: «ضع القلم فى جيبك» حدق فيها ووضعه.

واقترحت عليه «ماذا عن الزوجين هذين؟».

كانت هناك فتاتين عمرهما لايتعدى السابعة عشر يتهادين فى خطواتهن بالبكينى.

«يا إلهى!!».

«الأفضل أغمض عيونك قبل أن تحترق» إلتفتت وحدق فيها وكأنها إنسانة غريبة لايعرفها وقالت متهكمة: «أنا مادلين كاربونيو لو تذكرنى».

«أتذكرك، أنت الفتاة الغيورة، كما أظن».

«غيورة منهن؟ لا فائدة من مص شفتيك حزناً، هنا رجال بوليس لمنع أمثالك، هذه منطقة للنزهة والتسلية العائلية».

«أنت غيورة!، يامادلين كاربونيو، غيورة من تلميذتين!!».

«إكتب ما تراه، أليس هذا ما تحتاجه لكتابك؟».

«اللعنة، لا، هيا نذهب لمكان آخر، أين يتجه هذا القطار؟».

كان القطار ذى العربات الثلاث قد إمتلأ بسرعة بمجرد إنتقال السائحين من الباخرة إليه.

«لا يذهب لمكان معين!!».

«الآن عرفت أنك مرحة!! القطار لا يتجه لمكان معين!!».

هزت رأسها وهى تتأمله، أديب وروائى بلا خيال؟ الريح طوحت قبعتها وأمالتها على جانب لتغطى أحد عينيها سألته «هل أنت واثق أنك كاتب روائى؟».

كان قد تحشرج فى آخر قطرات شرابه وربتت على ظهره وأجابها «طبعاً أنا كاتب روائى؛ ما دخل ذلك بالقطار وسؤالى عن وجهته؟».

شرحت له «القطار يقود هواة؛ هو يسير آه اللعنة؛ يتجه غرباً من هنا إلى مدينة ميرديث حيث هناك ساحة سكك حديدية، ويعود عبر واير حتى الميناء، حيث يتوقف وينتقل الجرار للنهاية الأخرى للقطار، ويعود، وهكذا».

«أنت على حق، فعلاً لا يذهب لأى مكان يا إلهى!!».

www.elromancia.com

« هناك متسع فى الحياة ، وأحياناً الوصول لا يستحق نصف عناء العودة !! » .

تمدد مستنداً إلى مسند الأريكة الخشبية وأمسك بيديها معاً ، بنعومة « فلسفة ؟ ربما أنت على حق ، سأتذكر هذا ، ربما أضعه فى كتابى » .

إبتسمت « يسعدنى هذا ، كم كتاباً ألفت ؟ » .

ظهر عليه الخجل « أهذا حساب ؟ » .

« نعم ، لو أردت » .

« فى هذه الحالة ، كتاب واحد » .

« واحد ؟ لم تكتب سوى الكتاب الذى لم ينته !! » .

« أنا فى طريقى لتغيير وجهتى فى الحياة ، تاركاً كل ما ورائى ، وأبدأ مهنة جديدة » .

« لكن ــ لكن ، أنا أعرف كاتب أو إثنين يا جويل يجب أن تعرف ، حتى لو نجح كتابك الأول ، ستمر سنوات قبل أن تكون ثروة ! » .

« سأعيش ، جدى ترك لىّ ميراثاً جيداً ، ألا تعتبرها خطوة حكيمة ؟ » .

« لم يكن لدى الوقت لأفكر فى أمور كهذه ، الوظائف ضرورية ، وهذه هى الطريقة الوحيدة للإستمرار فى الحياة ، أنا أعمل وعمرى أربعة عشر عاماً » .

شعرت مادلين بالأسف على نفسها ، لقد سرق هذا إهتمامها ، لكن لن أبكى ، المرأة المسئولة لا تبكى ، هكذا أكدت لنفسها !! شهقت مرة ، ثم إلتفتت لتمسح دمعة من عينيها غافلتها وإضافت « إذن أنت تغير حياتك ؟ لم أدرى أنك عجوز هكذا » .

« عمرى ثلاثة وثلاثين عاماً ، لكن العمر لا قيمة له فى هذا » وقف وجذبها معه ، وهى تثبت قبعتها ، التحكم فى القبعة أسهل من التحكم فى قلبها ، ولسبب ما كان قلبها يعانى ! أشارت إلى المرساة « القوارب هنا ، لماذا لا نذهب لنرى المنزل » .

كانت يده تحت إبطها ، نظرت إليه لترى إن كان مهتماً ، وجدته ينظر بعيداً إلى البحيرة ، وكأنه يبحث عن سفينته ، عن أرض يغزوها عن مــدن يحج إليها ، عن إمرأة ــ

سألها بصوت عال « هنا فى مكان ما ؟ » الريح هنا تجعل من المستحيل تبادل حديثاً عادياً ، إنسلت من يده ، سألها « أتعرفين كيف يعمل هذا ؟ » وهما يقفزان فى القارب ، لم يكن متحمساً ، لكنها لديها الخبرة « أنا حاصلة على رخصة من حرس الشواطىء » .

إتجهت مادلين إلى عجلة القيادة ، وصاح « هل كل هؤلاء الناس مجانين ؟ » أشارت إلى طوقى نجاة تحت المقعد وأشارت إليه بإرتداء أحدهما سألها « من ؟ أنا ؟ » .

أومأت مادلين له ، وإرتدت طوقها ، وإتجه القارب داخل قناة حول غرب جزيرة الحاكم ، وأصبح بمحاذاة السفينة الكبيرة « مونت واشنطن » المزدحمة بالسائحين ، وبعد فترة أبطأت المحرك على الشاطىء الجنوبى لجزيرة جلورى ، سألها « لماذا هنا ؟ » .

« أظنك تعرف ، لقد خططت لأذهب بك إلى منزل موريشيسون ، تلك الجزيرة بأكملها جزء من المزرعة » .

« حسناً ، كان يجب أن أعرف ، تمام ياسيدتى هيا إلى منزل موريشيسون » .

ركزت فى قيادة القارب وهو يعبر منحنيات القناة بين

www.elromancia.com

الصخور الحادة ، لمحت عيناه تومضان وكان هو يضحك !! عاودت التركيز فى قيادة القارب كل هذه المصاعب وهو يضحك !!

«بعد خمس دقائق كان مطلوباً منها مضاعفة تركيزها لإبعاد القارب عن القاع الرملى والصخور ، وتنهدت عندما وصلوا لآخر منحنى فى القناة ، حيث تتسع فى بقعة ماء جميلة» .

أوقفت المحرك ، وقال لها : «لم نصل الشاطىء بعد» .

«أعدت العمة مارى لنا غذاء فخم ، يمكننا تناوله الآن قبل مواصلة الطريق ، إن لم يكن لديك إعتراض ؟» .

«من ، أنا ؟ موافق ، لماذا لا ؟» .

شعرت بعدم الإرتياح ، طالما كان القارب يتحرك كانت آمنة ، لكن الآن بمهاراته الإغوائية ، يا إلهى ، ليست خائفة فقط ، لكن عضلاتها خائرة الآن ، مهما كان ما يريده جويل فهى تريده أيضاً .

جلست وفتحت حقيبة الطعام ، دجاج مشوى ، ليس من النوع التجارى ، بل من تخصص العمة مارى ، إرتعشت يد مادلين وهى تجلس كان جويل يجلس لصيقاً بها ، إبتعدت عنه ، لكن ليس بما يكفى ، ولم تعد قادرة على التركيز فى وجهه ، كان هناك رغبة عميقة لا تقاوم ، فى ذهنها ، إغمضى عيونك وإنتظرى ما سيحدث !!

غمغم جويل «أنت طفلة مجنونة مشوشة» وخلعت طوق النجاة !!

فى المدرسة العليا ، تعرفت على أصدقاء وكانت لهم أوقات مرح سوياً ، لكن معظمهم تزوج ، والذين لم يتزوجو منهم لا يستحقون عناء الإرتباط بهم هكذا قالت لنفسها .

كان القارب يهتز بعنف وكأنه يشارك فى سيمفونية الحب فوق مياه البحيرة ، وفجأة فتحت راديو القارب ، حيث يبث حرس الشواطىء رسائلهم كانت هناك رسالة طارئة تتكرر مراراً :

«تحذير طارىء من العاصفة تهب على كل أجزاء بحيرة وينى بيسوكى ، الجميع يبحث عن مأوى !!» .

www.elromancia.com

الفصل السادس
العاصفة

صاح جويل «ماذا نفعل الآن؟» كانت العاصفة تزأر «نهرب للمنزل؟».

نظرت مادلين إلى السحب وإرتعدت، البرق يضىء قمم السماء، الريح تهب كاسحة من الجنوب الشرقى من فوق قمم الجبال؛ تزأر فوق سطح البحيرة، المأوى الوحيد المتاح لهم، هو الكهف الصخرى الصغير فهى تعرف أن الريح فوق البحيرة أخطر كثيراً من الريح فوق محيط مفتوح شاسع، تراجعت وقالت: «لا!!، خطر جداً فوق البحيرة، ساعدنى للإسراع بالقارب، ثم نبحث عن مأوى!!».

جويل ردود فعله سريعة، بينما تتلكأ هى محاولة تقرير ماذا تأخذ، تناول الحبل والمرساة وناولها يده، وقال: «لن يفيدنا هذا كثيراً؛ لن تحميه من التحطم على الصخرة».

«أعرف، سيقتلنى هنرى لو تحطم قاربه».

«سأقابله هذا الرجل هنرى» وتأبط ذراعها وهبطا الجزيرة الصغيرة، المنخفضة السطح عند الجانب الجنوبى، وترتفع تدريجياً حتى تصل لمنحدر عال حــاد عند الشمال، المنزل

كان مشيداً على سطح مستو تحميه أشجار الصنوبر من الرياح، لكن الأشجار على أرض سهلة يمكن أن تقتلعها الرياح العاصفة.

جذبها «ناولينى هذا الذى تحملينه» ناولته الحقيبة، وتعلقت بذراعه كأنها تحتمى به، سألها «مستعدة؟» أومأت برأسها.

إتجها إلى المنزل، فى حماية الأشجار، سارت حافية القدمين لفترة طويلة، والطريق ليس ناعماً، عند المنحنى التالى إصطدمت قدمها بنتوء حاد ونزف الدم، ليس كثيراً، فى حالة الإثارة التى تشعر بها، ومواجهة الطبيعة، لم تلحظه، لكن جويل لمح الدم النازف من قدمها.

وحملها بين ذراعيه، كانت أذنيها بالقرب من فمه، قال لها: «لقد شاهدت هذا فى مئات الأفلام كم أنت ثقيلة؟».

«أنزلنى!» الإثارة، الخطر، الرعد، «لا يمكنك القيام بدور البطل، أيمكنك؟».

ضحك جويل «بدون تضليل؟!!» لكنه أنزلها، ثم حملها فوق ظهره، ورأسها متدلى لأسفل، شعرت بالإهانة والغضب، لكنها فكرت هذا ألآمــن!!، طالما يريد أن يكون بطلاً لماذا أقاوم هذا، أليس أفضل من المشى حافية القدمين على الأرض الصخرية؟ بدا منطقياً أنها شعرت بإرتياح وجعلت الأمر يمضى —

سار جويل خمسين ياردة قبل أن ينهمر عليهم المطر، وجد ملجأ لهم بين صخرتين، أجلس مادلين، وجلس بجوارها وأغرقهما المطر، كان على بعد مائة ياردة منهم شجرة طويلة جداً، فجأة إقتلعتها العاصفة لتسقط فى منتصف المسافة، دفنت مادلين

رأسها بين كتفيه خوفاً وهلعاً.

كان صوت الرعد فى أعقاب الشهب التى تضيء السما مزلزلاً للجبل؛ ولكن العاصفة هدت لفترة وساد الصمت الجزيرة، وقالت مادلين: «لن تنقطع العواصف ستهب مراراً!! يجب أن نبحث عن مأوى ـــ».

أجابها: «أعرف، لكن أنظرى بسرعة إلى الكهف».

مسحت الماء من عيونها، وحدقت لترى القارب الذى يفتخر به هنرى ويستمتع قد تحطم فى البحيرة. غمغمت «آه، يا أنا!، حمداً لله أننى أحضرت الدجاج معى!!».

ضحك جويل «هذه هى الفتاة التى تعجبنى، دائماً تهتم بأولوياتها!! تأمين الطعام، وتنسى يخت ثمنه مليون دولار!!».

«آه!! بالتأكيد ليس مليوناً ـــ؟».

صحح كلامه بنفسه «لا، ربما حوالى ألف دولار للقدم الواحدة أى حوالى خمسة وعشرين ألف دولار، ضاعوا من جيبك!!»

تأوهت باكية «يعتمد على جيب من تتحدث، هذا المبلغ أناضل لجمعه وكسبه طيلة عام».

«ياه، حسناً، إذن لتقلق بعد ذلك كثيراً، دعينى أفحص قدمك الجريحة».

إستدارت ورفعت قدمها تناول قدمها كأنما يتناول قدم حصان، كان المطر مستمراً، لكن أقل هطولاً وغزارة، وقال وهو يسقط قدمها على الأرض «ليست سيئة، مجرد جرح صغير، لكن يجب ألا تمشى عليها، ويمكن تضميدها الآن ـــ حتى لا تموتى يا فتاة!».

«ألست تتمنى ذلك! فتاة صغيرة أقصد».

ضحك وحملها فوق كتفه «يا إلهى، بالمركب النقص الذى يملأ روحك!! أنت بالضبط نفس الفتاة التى تمنيت الموت غرقاً معها فى جزيرة مجهولة مهجورة» أراحتها لهجته وإبتسمت.

وصلوا المنزل فجأة، كان المنزل ذى ثلاث طوابق، مشيد بالحجر، هناك جناحين فى الطابق الأرضى، وبالإضافة لتصميمات من الخشب على الطراز القوطى، برجين خشبيين عند نهاية كل جناح، يرتفع كل برج خمسة عشر قدماً أعلى من المنزل وشرفة واسعة تؤدى إلى الأبواب، وأشجار قديمة هائلة تحيط بالمنزل، غمغم جويل «البقرة المقدسة!» وعاودت الأمطار الهطول.

أمرها «إجرى!» كان هناك عشب يفصلها عن المأوى، وكانت العاصفة تزأر من جديد، إستطرد «الجرى أكثر أمناً من البقاء هنا» وأخذها بين ذراعيه وأضيئت السماء بومضة برق، أحنت مادلين رأسها وجرت، كانت درجات السلم تهتز وهم يقتربان عندما إحتميا بالباب الخارجى كان المطر صار غزيراً كالفيضان والعاصفة تزمجر، وبدأت كالعادة تهدأ من جديد، لتتلاشى الإثارة، ويحل محلها شعور بالخوف، حاولت مادلين إلتقاط أنفاسها وتعلقت به كأنها تستغيث به، بعد لحظات، كانت قد إستعادت السيطرة على عقلها، تحركت مبتعدة قليلاً وهى تبتسم له إبتسامة باهتة.

سألها «أين مفاتيح المنزل؟» كان لديها ردود كثيرة، لكن ما قالته كان مذهلاً لها قبله.

غمغمت «إنه منزل لطيف؛ لو إشتريته سيعجبك وتحبه».

ضحك «دائماً كهذا مندوبى المبيعات، أتريدنى أن أوقع العقود قبل البحث عن مأوى؟ أين المفاتيح؟».

« أنا ـــ أنا ، أعتقد أنها سقطت فى القارب ، أخذت الطعام ونسيت المفاتيح ، ولا يهمنى إن لم تشتريه آه يا إلهى ، لماذا أتلعثم هكذا ؟ » .

ضمها إليه بلطف « الآن ، لست مضطرة للتظاهر بالشجاعة ، الخطر زال ، إصرخى وقولى أحبك » تعلقت به وطوحت بكل شىء ، وغسلت نفسها من أفكارها المسبقة بدموعها ، وشعرت فجأة بالدفء والآمان ، وهو شعور جميل تجربه للمرة الأولى .

إنتزع جويل قفل الباب ، بدبوس شعرها ، إنفتح الباب ، كان الممر الداخلى مظلماً ، طوقها بذراعه ودفعها لتدخل أمامه «بعدك يا حبى» قالت لنفسها هو لا يعنى ما يقوله ، مع ذلك الكلمات تغلغلت فى أعماقها .

فى وسط الصالة الواسعة ، كانت مترية وقذرة جداً ، أمامهم السلم الملتوى ، عند بدايته تمثالان لجنـديين من محاربى إسبرطة ، تنهد جويل «يوم عظيم هذا الصباح ؛ يشبه شاليهات المليونيرات فى الميناء الجديد !! كما تعرفين ، منزل به ثمانية وثلاثين غرفة ، وفناء على فدانين ! من يمتلك منزل موريشيسون ؟ » .

« لا أعرف حقيقة ، واحد من أصحاب السكك الحديدية فى نيويورك ، بناه لزوجته الشابة ، فى عصر بارونات السـرقات ، هناك لغز وغموض حول المنزل ، فى الليلة الأولى له هنا ؛ سقط فوق السلم وإنكسر عنقه »

« والأرملة الثرية ؟ » .

« رحلت إلى أوروبا فى جولة سياحية ، أو شىء من هذا القبيل ، أليس هذا مثيراً ؟ » .

دخل الطابق الأول وفتحه « آه ، المكتب مدفأة كبيرة ، شىء الذى نحتاجه حتى نجفف ملابسنا من المطر ، لماذا تبحثين عن ملابس أو بطانية ، سأشعل المدفأة » .

« لا أظن أننى محظوظة » شىء لا تريد أن تبوح به ؛ لكن صعب أن تتجنب الإعتراف « لم يعش أحد هنا طيلة ثمانى عشرين عاماً !! » .

كان راكعاً أمام المدفأة ونظر إليها ووجهه تغطيه تكشيرة اجـة « منزل لا يشتريه أحد ، أليس كذلك ؟ لكن يعجبنى ، ستمرى !! » .

الغضب مرة ثانية ، واستدارت على عقبيها وصعدت السلم ، ند أعجبه المنزل ؟ كل خطوة تخطوها فوق السلم ، يرتفع سعر لمنزل خمسمائة دولار أخرى !! .

عندما عادت مادلين إلى المكتب كان جويل قد أشعل نار لمدفأة ، وهى تجرجر خلفها كنزها !! كانت الغرفة قد صارت افئة ، المنزل ليس به تدفئة مركزية ، سألها « ما هذا ؟ » .

« كل ما إستطعت العثور عليه ، هناك الغرف مظلمة جداً ، كننى وجدت هذه الستائر على نوافذ الصالة ، مصنوعة من لحرير » .

طوحت الستائر أمامها وكح هو من التراب المتصاعد ، وقالت : « حسناً ، هذا كل ما وجدته ، ونفضت الغبار عنها قبل أن أحضرها » .

ضحك « لم أشكو ، تعالى ، ما زالت النار مشتعلة إخلعى كل ملابسك ولفى جسدك بالستارة !! » .

« ليس هنا !! أنا لم أعتد العرى !! » .

« طالما أنت حساسة هكذا ، هناك غرف كثيرة لكن هذه

الغرفة الوحيدة الدافئة، يمكننى أن أخرج ـ» .

« طبعاً الرجل المهذب يتركنى وحدى حتى أغير ملابسى !! » .

لكن الدنيا برد فى الخارج، لكن أظنك أخيراً قررت أننى رجل مهذب ! » .

غمغمت « ربما كنت مخطئة » .

« أمامك عشر دقائق » .

« سارت خلفه لتتأكد من إغلاق الباب وعادت أمام المدفأة، وخلعت ملابسها وأحكمت لف الستارة حول جسدها » .

كانت تثير ضوضاء كثيرة وهى تغير ملابسها وتدندن بأغنية وتجتاحها سعادة؛ أمر غريب، العاصفة المجنونة، القارب المحطم، هى مبللة فى ماء المطر، وما زالت سعيدة، شعور لا تستطيع تحديده، هى بعيدة عن منزلها، وتقبلت الأمر كما هو، وهى تتراقص عائدة بظهرها وجدت نفسها بين ذراعيه، صاحت « آه، لا، لا، لا !! أنت قلت أمامى عشر دقائق !! » .

« سمحت لك بربع ساعة، ربما أكثر» ونظر فى ساعته، « اللعنة، هذه الساعة مفروض أنها تقاوم الماء؟ دفعت فيها مبلغ طائل ومع ذلك توقفت ! » .

إتهمته « كنت تتلصص على وتشاهدنى » .

إعترف « نعم، أنت إمرأة جميلة يا مادلين ! » .

شردت، وقالت لو كان يظنها جذابة، ويترجم هذا إلى رغبة، هذا ما لن تتقبله والأفضل أن تكون قبيحة وآمنة « أنا لست جميلة » وإبتعدت عنه لتقترب من المدفأة.

وافقها « تمام، لم أقصد أنك الفتاة التى تشعل النار فى العالم، فقط شعرت أنك تستحقين المديح » .

وهى تبتعد داس فوق ذيل الستارة الطويل وإنحلت عقدة رباطها وسقطت على الأرض وضحك « سأخذ الستارة وأعيدها ويمكنك إشعال النار فى العالم !! » وهى تشاهد الآن نظرات جائعة فى عينيه، لم تعد تشعر بالآمان لكن لا يمكنها أن تنكر إحساسها بالسعادة.

بعد دقائق قال لها: « لنحضر ملابسنا ونعلقها هنا لنجففها » .

قالت له: « أنت بحاجة لزوجة أو مديرة منزل » .

سألها « هل تقبلين الوظيفة ؟ » كانت هى تحدق فى النار عندما تحدث، ولم ترى نظرات وجهه.

أجابته « يمكن أن أفكر، كل أيام إسبوعى مشغولة، يبقى أمامى عطلة نهاية الإسبوع، أو ربما أحصل على يوم أو يومين من وقت لآخر، ربما يجب أن تعرف، فى سبتمبر قد يكـون أمامى وقت أوفره، أجندة مواعيدى ليست معى الآن » .

« يا للعار، لكن أفسحى لىّ مكاناً فى قائمتك؛ الآن السؤال هو، كيف سنخرج من هنا ؟ » .

هزت رأسها، وهى غير مصدقة، وأطلت من النافذة، أمامهم ساعة حتى يعودوا إلى النهر، ورأت أكثر من ستة أشجار إقتلعتها الرياح، والدنيا مظلمة، والليل بدأ يرخى أستاره السوداء، والريح تزأر كأنها ستواصل هبوبها طيلة الليل.

« فى هذا الجو ليس أمامنا إلا الصلاة حتى الصباح » .

« هذا يزعجك، قضاء الليل معى ؟ » .

« لا، ليس هذا ما يخيفنى، لكن ـ العمة مارى ستقلق؛

كما تعرف ، سينتابها قلق فظيع » .

تلاشت تقطيبة وجهه « دائماً تفكرين فيها ، أليس كذلك ؟ » جاء ليقف بجوارها أمام النافذة ، وضع يده على كتفها ، وبدون وعي إستندت إليه .

« نعم أفكر فيها كثيراً ؛ هي التي جعلتني كما أنا الآن ، لو لم تكن هي التي تحملت رعايتي ربما كنت في حضانة عمي فريد — » .

قاطعها « قائد البوليس ؟ يا لسوء ذلك » .

« ليس بالضبط ، لكن منذ خمس وعشرين عاماً ، كان مجرد شرطي ، معه ستة أطفال وكانت الحياة صعبة ، ربما كنت تربيت على قوة المنافسة لكن — » وتحشرج حلقها بالدموع « لكن أنا سعيدة بحياتي مع عمتي ماري ، لم أفعل لها شيئاً ولم أرد جميلها حتى الآن » .

« هذا لطيف ، أنا الإبن الوحيد لأمي ، لكن لا يمكنني قول هذا » .

« لم يكن لك أب ؟ » .

« بدون أب ! طبعاً ، آه كان ليَ أب ، لكنه كان مشغولاً بأعماله ولم يهتم بيَ ؛ وعندما أصبح عمري خمسة عشر عاماً ، بدأ يهتم ، لكنه مات ، كنت لن ألحق جنازته لو لم تذكرني أمي » .

إستدارت لتواجهه « هذا شيء فظيع أن تقول هذا عن أبيك ! » وجدته يطوقها بذراعيه ، وتجمدت للحظة وقالت : « لا ، لا تفعل ! » .

« لا ؟ لم أقصد فعل أي شيء ؟ أي شيء !! » .

« أخبرني عن والدك » .

وجم وجهه « لا شيء يمكن قوله ، كان مستغرقاً تماماً في

عمله ، كنت عنيداً ، وعندما رفضت التعاون مع العائلة والإنضمام لشركته ، أغضبه هذا ، وأصيب بأزمة قلبية ، وأضاف ذلك إلى قائمة عيوبي ومساوئ — » .

قاطعته « ليس بك مساوىء » وبعد فترة صمت قالت : « باستثناء — » .

تنهد « أعرف ، لست مضطرة لتكرارها ، الغرور والغطرسة ، أعرف هناك شيء آخر ، لكن لا تذكريني به ، الآن ، دعيني أرى قدمك » رغم إحتجاجها ؛ حملها بين ذراعيه ، وإتجه إلى المدفأة ، ووضعها أمامها .

كانت راضية بجلوسها في الدفء ، عندما وقف وإبتعد شعرت برعشة الوحدة ، رغم أنه لم يتجاوز المدفأة ، وإتجه ناحية الصالة ، وبعد لحظات سمعت الباب الرئيسي يغلق ، وعاد بقطعة قاش مبللة إستخدمها لتنظيف قدمها .

قال لها : « ليس رديئاً ، مجرد جرح صغير ، أظنني نظفته » ضمد جرحها بذيل القميص ، كان يعمل وكأنه يفهم ما يقوم به جيداً ، قالت لنفسها هذه علامته المميزة ، منذ يوم أو يومين ، كانت الفكرة تزعجها ، لكن من حسن حظها أن تلتقي برجل يعتمد عليه كفء ، بدلاً من كل الإمعات اللذين التقت بهم من قبل ، لكن أعصابه منفلتة ، لكن من الذي لا تستثار أعصابه ؟ أنا أسوأ منه على الأقل هو ليس فرنسياً !!

إستدارت في الستارة الملفوفة حول جسدها ، وتنهدت قائلة : « الشيء الذي لم أفهمه يا جويل ، ماذا ستفعل الآن ، وسببه ؛ هل أنت جاد بشأن كتابة الرواية ؟ » .

« فكرت الإسبوع الماضي ، يامادلين ، هذا الإسبوع ربما إكتسبت أولويات أخرى ، غباء ، كما أظن ؛ رجل عمره ثلاثة

www.elromancia.com

وثلاثين عاماً ، ومع ذلك يبدو وكأننى رافض الحياة ، على الأقل ، هذا ما تقوله أمى » .

« يبدو أنها سيدة حكيمة ؛ لماذا ؟ » .

« لا ، لماذا ترفض الحياة وتتمرد عليها ؟ » .

صمت لدقيقة « لأن الناس تريد إجبارى على إسلوب فى الحياة لا أريده ، لا أريد أن تقص أجنحتى ، لكن الآن ـــ » .

« الآن ؟ » .

« أتصدقيننى ، أعيد تفكيرى الآن » ضحك « مثل الببغاء ، بدأت أستغرب هل الطيران هو كل شىء ، وكفى تطفلاً يا سيدة ، إجلسى وإسترخى » .

قطع شرود أحلامها « حسناً ، الليل أظلم الدنيا حولنا ، وأنت الخبيرة بالمكان ، ماذا سنفعل ؟ » .

تنهدت « أخشى أننا لن نستطيع فعل شىء الليلة ، سيتجمع حرس الشواطىء لإلتقاط الأشخاص المفقودين ، لكنهم لن يبحثوا لو واصلت العاصفة هبوبها فى الصباح ، سيحلقون بطائرات هليوكبتر ، وقوارب مطاطية ، على بعد ميلين ، كما أظن ، ليس معنا جهاز إرسال ، ليس لدينا تليفون ـــ » .

« ليس لدينا حتى كهرباء ، يا إلهى ، ياله من منزل محطم تريدين بيعه لىّ ، يامادلين ! » .

« حسناً ، يستحق المحاولة الصفقة كانت ستغطى تكاليف معيشتنا طيلة عام أنا وعمتى مارى » .

« آه ، لا أقصد أننى لن أبيعه ، ربما يحقق عائد كبير ، أو يستخدم مركز إستشفاء أو مؤتمرات ؛ أو منزل لعائلة لها إثنى عشر طفلاً » .

« إثنى عشر طفلاً ، يا إلهى !! » .

ضحك « سأشترى المنزل ، كم سيكلفنى ؟ » .

ذهلت مادلين ، شعرت بإحساس هائل بالخسران ، يريد إستخدامه للمؤتمرات ، رجال كبار بحقائب فخمة ، سكرتيرات ، سلوك فظ « سيكلفك كثيراً » فكرت وأضافت عشرين ألف دولار للثمن الإجمالى » ثلاثمائة وتسعين ألف دولار » .

وافقها « تماماً ، إشتريت » مد يده كأنه ينهى الصفقة ؛ تفكرت ، هو كاتب لم ينتهى من روايته الأولى ، لا تستطيع شراء مجرد كوخ محطم !! لكن لا تقلقى ؛ قالت لنفسها ، يجب أن تأمل فى العمولة لو إشتراه فعلاً !! حدقت فى النار ، وهى حالمة ، وقال لها : « إذن ؛ لقد حددت كل الأشياء التى لا يمكننا فعلها الليلة ، الآن ، ماذا يمكننا القيام به ؟ » .

إبتسمت له « مع أول ضوء لبزوغ الفجر ، يجب أن نجهز إشارة أو علامة » .

« آه ، أى نوع ؟ » .

« فى الخارج سارية علم ، تحتاجها شيئاً نطيره فوقها ، ويصعد أحدنا فى الصباح ليعلقها حـرس يعلمـون لا أحـد يقيم هنا فى الجزيرة ، وهذا سيكون إنذاراً لهم » .

« لدى فكرة غامضة من الذى سيتطوع لصعود السارية » ضحك « وما الشىء الذى سنعلقه ؟ » .

« لا أدرى » هزت رأسها « لا أظن أن هذه الستارة ستصمد أمام الرياح ، نريد شيئاً يلفت إنتباه الملاح الشاب المتعجل » .

« أظن الملاحين معظمهم رجال ؟ » .

« أظن ذلك » .

« إذن سنعلق هذا العلم المثير » وأشار إلى الإيشارب

الأبيض، هزت رأسها «هل هذا ماتفكر فيه ؟».

«ماذا ؟ النجدة والإنقاذ ؟».

«لا ، أنا ــ آه ، إنسى !!».

نطقها بالحروف المفردة «ج ، ن ، س ، كما قلت لعمتك ، ليس من فترة بعيدة ؛ أليس كذلك ؟».

«لا ، كل ماأعرفه عنه ، أنه ثانى شىء محبب لقلب الرجل ، إجلس ، لنتناول الدجاج ياجويل ، نحن نعانى الجوع !!».

الفصل السابع

المُنقذ

تناولوا عشائهم أمام المدفأة وفى ضوء نيرانها ، وبحث جويل فى المطبخ وأحضر فانوساً ، وبعض الأشياء الضرورية المخزنة للطوارىء منذ فترة وقال لها : «ها شيئاً آخر!!» وناولها زجاجة خمر معتقة «كلاريت ١٩٢٦ ، إما فسدت أو معتقة !!».

سألته «أين وجدتها ؟ دائماً تلتقط الأشياء لأول وهلة ياجويل».

«إنها معتقة منذ أعوام لكن الخشب حول الغطاء لايمكن فتحه ، مؤكد هناك مئات من تلك الزجاجات هناك ، لكن ليس هناك كؤوس ، يجب أن نشرب من الزجاجة ياسيدتى ، السيدات أولاً ؟».

«يبدو لى يجب يبدأ الرجل المهذب أولاً».

ضحك وتناول الزجاجة بين شفتيه «حلو ، يا لحسن الحظ !» وناولها الزجاجة ، حذرته مادلين «الأفضل ألا تستغفلنى» وإستغربت سيدة تشرب من الزجاجة ؟.

www.elromancia.com

ربما الخمر الأحمر ليس ملائماً بعد وجبة دجاج لكن عموماً ، لم يكن لحم الدجاج كثيراً ، لكن خمر كثير ، ومادلين ليست معتادة على شرب الخمر؛ لكن بإمكانها تحمل المشاركة فى الشرب ، وهذا الخمر ناعم ومنعش وكانت الريح تعصف فى الخارج ، والرعد يزأر فى الخارج والبرودة تلف الكون ، بينما هنا أمام المدفأة ، تشعر مادلين بالإسترخاء من الدفء سألته «كم الساعة الآن ؟» .

حدق فى ساعته «ما زالت متوقفة ، لكن ــ» بإعتبارى الولد العجوز ــ» .

«دائماً تركز على العجوز؟» .

«لا ؛ والآن تبدو الساعة الثانية عشر والنصف ؛ لو كان بمقدورى لجعلت الفجر يبزغ وأعلق الشارة على سارية العلم ، أنا بحاجة للنوم ، طبعاً لا يهمك من الذى سيصعد السارية؟ نجرى قرعة ، أو أى شىء؟» .

«لا ، هذه مهمة رجالى ، هكذا يقولون ، ويجب أن تدفع الضريبة ، ضريبة رجولتك» وتلفتت عبر الغرفة وأرفف مكتبتها الخالية «لا أظننى سأنام فوق الأرض الحجرية هذه» .

وعدها «لن يكون الأمر سيئاً ، هذه الوسادة يمكن نفخها بالهواء ويمكنك النوم فوقها» .

إعتدلت مادلين «أنت ... لا تتوقع مشاركتى لك تلك الوسادة ، أليس كذلك ؟» كان صوتها غاضباً .

رد بنعومة وهو يجذبها «ها ، مجرد إقتراح فقط ، أنت صغيرة جداً ، عمرك سبعة وعشرين عاماً ياعزيزتى ، أليس كذلك ؟»» .

«لست صغيرة ، أنا ــ لو كنت رجلاً مهذباً لتركت لى الوسادة لأنام عليها ــ» .

«وماذا أفعل أنا ؟» .

«لماذا ، يمكنك النوم فى الغرفة الأخرى» .

ها ها !! «ضحك جويل» حتى لا يمكننا النوم فى غرفة واحدة ؟» .

«لا» .

«لا ، طبعاً لا ، سيكون هذا آماناً لك ؟» .

«لا ، لن يكون» قالت لنفسها لن أشعر فى قربك بالآمان !! أخيراً إعترفت بهذه الحقيقة !

كان ينظر إليها وعلى وجهه نصف إبتسامة «الحياة ليس عادلة معى ، أنت تنامين على الوسادة الناعمة فى دفء المدفأة وأنا أنام على الأرض فى غرفة باردة ؟» .

«هكذا الحياة» .

وقف على قدميه مرتدياً الستارة «إذن يمكننا عقد تسوية ، أنت تختارين الدفء وأنا الوسادة !» .

«لا ــ» إلتقط الوسادة ومضى إلى غرفة المعيشة .

أزعجها الصمت المطبق ؛ وإرتعدت مادلين ، وكان صعباً عليها مقاومة إحساسها به ، فلقد جعلته بطلاً ثم حرفوشاً دجالاً ثم بطلاً مرة أخرى ، هو كاتب روائى ــ لكنه لم ينتهى من روايته الأولى ، ومع ذلك لا يعانى الحاجة !! يمتلك سيارتين ثمنهما باهظ ؟!! لا يشغله المال ، مفترض أنه سيشترى هذا المنزل المتوحش .

يلعب الكرة مع الصبية ، ويتطلع إليها ، فى الصباح ، الظهر ، فى المساء ؛ ولكن عندما رست بهم السفينة ، إكتشفته ، رجلاً كفئاً مهذباً ، يعرف كيف يقوم بأشياء كثيرة ، ماذا تظنه فعلاً ، ما رأيها به ؟

غمغمت «حسناً، لقد بنى ذلك السياج اللعين عمتى تظنه عظيماً، بدأت أراه مثلها! آه يا ربى، لماذا الحياة مشوشة وخادعة هكذا؟».

وضعت رأسها فوق الحقيبة التى إستخلصت كسرير، لماذا لا أفهم جويل فيرمونت الغامض أغمضت عيونها، وتراقص طيف رجل طويل نحيل شعره أشقر عيونه زرقاء مبتسماً لها، شيء فيه قد تغير فى هذه الرحلة، هكذا إعتقدت يبدو أن لديه دوافع خفية وخطط سيبدأ عملها، لكن ما هى؟ قبل أن تجيب، غرقت فى النوم!!

يقول العلماء أن الأحلام لا تعيش سوى ثوانى، لكن مادلين حلمت، وتواصلت أحلامها لم تنقطع، كما لو كانت تشاهد شريط فيديو، كلما إنتهى تكرر عرضه مراراً طيلة الليلة، كان وجهه المشهد الرئيسى فى أحلامها، كان راقداً وهى مستلقية فوقه؛ وكلما وصل شريط تخيلاتها إلى نقطة معينة، تحل صورة قطتها محل وجهه!!

بدأت تعانى إحباطها، وتقلقها صورة هيرام موريشسون صاحب المنزل القتيل منذ أعوام وكأنه ينقر النافذة من الخارج، قالت لنفسها متعلمة مثلى يجب ألا تخاف من الأشباح، العفاريت يؤمن بها البسطاء من العامة!!

مراراً تكرر المشهد، وفجأة إنفتح الشباك كأن يداً قوية دفعته وتساقط المطر، متسللاً الغرفة يصحبه صوت الرعد الذى زلزل الجدران؛ كانت قد قطعت نصف الغرفة قبل أن تفيق من نومها، تصيح، وفتح الباب، إتجهت إليه فهو ملاذها الوحيد، كان جالساً على الوسادة، غير منتبه لما يجرى، وإرتمت برأسها فوق كتفه، تصيح، إستلقى بعد لحظات، محاولاً تهدئتها،

شعرت بالهدوء والراحة تشملها، وبدأت دموعها تنهمر.

قال بنعومة «إبكى، إبكى!!».

«أنا آسـفة».

«لا حاجة للإعتذار، عندما سمعت الرعد كاد الخوف يقتلنى أنا أيضاً».

«لن تشعرى بمثل ما شعرت أنا من خوف فأنت لا تعرف شيئاً عن المكان!!».

«تحاولين تخويفى».

فجأة عاد إليها وعيها، ليس فى حلم بل فى واقع حقيقى، وقالت له «ظننته شبح هيرام موريشسون!!».

«هل هو الذى تسلق النافذة؟ أنت ضحية مخاوفك يا مادلين، الآن يستحسن أن تذهب لنرى ما حدث».

«لا، أنا ـــ».

سألها «والآن ماذا نفعل؟».

«لا شيء، فقط كن حذراً هناك زجاج يغطى الأرضية!!».

«مادلين، مادلين!!» كان أحدهم يهز كتفها وهى لا تريد أن تستيقظ، يد قوية ليست يد العمة مارى الناعمة!!

حاولت فتح عينيها، كان جويل مرتدياً ملابسه هو الذى يحاول إيقاظها، إعتدلت جالسة وجذبت الغطاء حتى عنقها، قال: «والآن لا شيء من ذلك لقد جاءت الطائرة لنا، هيا، أحضرت لك ملابسك، كلها بحالة جيدة، ما عدا ذلك الذى ترتدينه تحتها».

همست «الطائرة؟».

ضحك «جاءت لإنقاذنا، مؤكد الطيار شاهد الشارة فوق

www.elromancia.com

سارية العلم، دار حول الجزيرة مرتين، وهبط عند القناة، وظهرت قوارب مطاطية عند الساحل، هيا إستعدى».

«نعم، لو سمحت تقف بالخارج حتى أرتدى ملابسى».

«لماذا، هل تخجلين، لم تبدين ذلك!».

«ربما ليس فى وسطك، آسفة، أنت كنت طيب جداً معى— إبان تحطم قاربنا، وحتى قصة هيرام موريشيون! قصة سأحكيها لعملائى فى الخريف القادم».

«كلها؟».

«أخرج من هنا؛ أنت— أنت فاجر!!» وضحكت، وخرج هو، لكن بعد أن قبلها، وقالت لنفسها «لن أغسل موضع قبلته لشهر» وإستحسنت هذه الفكرة وهى مندهشة خجلة، إنسلت من سريرها وإرتدت ملابسها.

كان جويل واقفاً فى الخارج فى ضوء الشمس عندما جاءت مادلين هابطة سلم الشرفة، تتطوح فى مشيتها وهى مرتدية حذائها ذى الرقبة، يبدو أن جرح قدمها يؤلمها، كان جويل يتحدث مع رجل عجوز؛ مرتدياً جاكت الطيران المميز لملاحى البحيرة، قدمه لها جويل «جيمى مورفى، الطيار منقذاً».

«ألا تعمل مع حرس الشاطىء؛ أعرفهم جميعاً شكراً لك».

قاطعها جويل «هنا نذهب، كلما وصلنا بسرعة إلى لاكونيا حتى نشرح لعمتك ما حدث».

وافقته مادلين «معقول».

حذرهم مورفى «الطريق موحل هنا» تأبط جويل ذراعها، شاهدوا أنواع مختلفة من طيور البحر الجميلة قال مورفى «أعرف

أن عاصفة أمس أتت بأسراب السمان للشاطىء، وغداً سترونها على أرفف السوبرماركت!!».

قالت بأسى: «أظن يا جويل أن كل ضيوفك فى مركز مؤتمراتك سوف يصطادونها جميعاً».

«لن يستطيعوا، سأضع علامات تحذير».

قال للملاح: «ربما إندهشت لرؤية الشارة على سارية العلم يا مستر مورفى».

«آه، فعلاً، لم أرى مثلها أبداً—».

قاطعه جويل «لم تكن مهمة؛ ما نحتاجه هو زيارة سريعة لقائد بوليس المدينة».

شاهدت مادلين حطام القارب وتنهدت «آه كيف سأشرح لهنرى كل ما حدث؟».

«ليس بحاجة لشرح، القارب تحطم بقضاء الله وقدره، أم أنك ستحملين تعويضه على ثمن المنزل».

قالت لنفسها: «لو نجحت الصفقة يمكن لهنرى شراء قاربين بثمن عمولته!!».

وسألته «إذن لم تغير رأيك؟».

«لا، لم أغير رأيى، سأجعله مركز مؤتمرات».

«لكن لماذا يحتاج كاتب روائى مركز مؤتمرات؟».

«مادلين! أنا مرهق، لم أنم ليلة أمس، ولا قبل أمس، لهذا السبب، هل تسدين لىّ معروفاً وتصمتى؟».

«حسناً، هذا ليس لطيفاً».

وجدت صعوبة فى ركوب القارب المطاطى ثم الإنتقال إلى الطائرة، وجلست فى المقعد الخلفى لمقعد الطيار، وجلس جويل فى المقعد الأمامى، قالت لنفسها هكذا الرجال دائماً، وأسندت

www.elromancia.com

رأسها للنافذة وغرقت فى النوم ، أيقظها الصمت بعد رحلة قصيرة فاتها مشاهدة أجمل المناظر التى تتزين بها الجزر عقب العاصفة المطرة ، ساعدها جويل على النزول من الكابينة .

وجدت سيارته التى تركوها فى الجراج منتظرة عند الشاطىء ؛ قفز إلى ذهنها الشك وسألته ، وأجابها : « ليست معجزة ، ألم تسمعين عن إختراع إسمه الراديو ؟ طلبت من مورفى الإتصال بالجراج لإحضار السيارة ، الآن بإمكاننا العودة » .

إبتسمت له أرق إبتسامة وإستندت بظهرها على المقعد وإنطلقت السيارة عائدة بها إلى المنزل ، كانت المدينة جميلة فى أجمل منظر ، وعندما وصلوا إلى شارع ماكجريث شعرت برغبة فى الجرى إلى المنزل ، تطرق كل الأبواب تحكى لعمتها كم كان يوماً مدهشاً ، أومأ لها بالنزول ، وأسرعت هى ، كان بمقدوره الإستماع لندائها داخل المنزل ، كانت مادلين واقفة فى المطبخ ، كان الببغاء حبيساً فى قفصه على قمة الثلاجة ، ويدندن « الصغيرة الرقيقة » القطة جالسة عند الباب ، وأسرعت بمجرد سماع صوت مادلين ، جاء جويل بعد خمس دقائق « ما المشكلة ؟ » .

« لا أدرى ، العمة مارى ليست هنا » .

محاولاً تهدئتها « لا تقلقى ، ربما ذهبت لأحد صديقاتها ، ربما فى شرفة منزلى ، أمى كان مقرراً مجيئها أمس ، كما تعرفين » .

« لا ، كانت تركت لى ورقة ، هى قلقة لأننى لم أعد ليلة أمس ، لا ، مؤكد خرجت » .

أسرعت إلى غرفة المعيشة ، وجدها تدير التليفون وسمعها تقول « البوليس ، أريد محادثة القائد « بعد لحظة صمت « لا ، لا أريد محادثة الرقيب ، أريد محادثة عمى فريد ، القائد ، نعم

عمى ! » .

وضعت يدها على السماعة وهمست له .

« هم يكرهون الذين يطلبون محادثة القائد !! » .

« لكن لماذا تحدثين عمك ؟ » .

«سمعها تغمغم « آه ، يا إلهى !! » .

سألها « ما هذا ؟ » .

« عمى فى المستشفى ، وإتصلوا بعمتى فى الصباح !! » .

www.elromancia.com

الفصل الثامن

زواج فى المستشفى

وهى تهبط السلم بسرعة شرحت له «لقد طلبت المستشفى قالوا: إن عمتى هناك، تقوم بتمريض عمى، ولن أراها قبل الثانية عشر ظهراً» إندفعت وإرتدت بدلتها الرمادية وبلوزتها البيضاء

«أنا ـ لا أثق فى المستشفيات عندما يتحدثون بهذه اللهجة، لكن عمتى ستصدم لو لم أرتدى فستاناً وـ».

«هيه، لا تجعليها تقلقك، أنا واثق أنهم يعنون ما يقولون».

تغضن جبينها بعلامات إهتمام قلق، ولم يعجبها نظرة عينيه، ودارت رأسها بأفكار غريبة، عمتى فى الثمانينات، حدقت فيه، وكأنها تستعطف عونه لها وصاحت «هيا لنسرع !!».

وضع يده فوق كتفها «إهدئى يا مادلين، أمامنا ساعة حتى يمكننا لقائها؛ إهدئى» أزاح بيده خصلة شعرها للخلف، وهى تعض شفتيها إحباطاً، وسألها «كم نبعد عن المستشفى؟».

«حوالى عشر دقائق، هل يبدو أننى بخير؟».

مؤكداً لها «طبعاً».

وشردت كعادتها بفكرها، وكذلك أنت دائماً؛ لقد ذهب إلى منزله وغير ملابسه، وإرتدى بدلة رمادية ورباط عنق،

كانت بدلته مشابهة لبدلتها فى اللون، عندما حاولت التراجع أمسك بيدها وقبل راحتها المفرودة، كان فى أعماق زرقة عيونه سرور واضح بها، وإبتسامة تشمل وجهه؛ قال لها: «وهو كذلك؛ يستحسن أن نذهب» قالت لنفسها إنه يغمرنى بمشاعر الشفقة!! وإجتاحها الغضب؛ وهدأت نفسها وهى تقول لقد وقعت فى حبه من أول نظرة، إذن ماذا حدث الآن؟ هو لا يحبك، ولا حيلة لك فى ذلك؟ ومؤامرتك لإبعاده عنك جعلت الأمور تسير نحو الأسوأ!! على الأقل قبل أن تكتشفى مدى حماقتك، والآن أنت واثقة من حماقتك!!

وهو يضع يده فوق كتفها ويقودها ناحية السيارة ويفتح لها الباب ويجلسها فى مقعدها بجواره قال لها: «لا أريدك أن تنهارى فى المستشفى».

كان خوفها على العمة مارى يجتاح كل تفكيرها، ولم تلحظ أنه مضى فى طريقه دون سؤالها عن الإتجاه، كانت المستشفى العام لمنطقة البحيرة ليست ضخمة، لكنها تستقبل عدداً لا بأس بـه من المرضى، معظمهم سائحين أحرقت الشمس جلودهم صيفاً؛ أو الذين كسرت أرجلهم فى الشتاء؛ وجدوا العمة مارى مستقرة فى غرفة صغيرة فى نهاية الجناح؛ كان السرير الثانى فى الغرفة خالياً؛ إندفعت مادلين إلى الغرفة؛ متجاهلة تحذير الممرضة؛ كانت العمة مستلقية فى السرير، المرفوعة رأسه فى وضع الجلوس، كانت تشبه دمية صغيرة، كان العم فريد جالساً على مقعد بجوارها، وإنتفض واقفاً عندما دخلت مادلين وجويل «حسناً، جئت يا مادلين» طبع قبلة فوق جبينها «حان وقت رعايتك لنفسك!» عندما إتجه العم إلى الممر سألها جويل «هل هذا هو قائد

www.elromancia.com

البوليس ؟ » .

« لا ، هو عمى فريد ، هو دبلوماسى جداً عندما يرتدى قبعة البوليس ! » وإتجها إلى السرير.

كانت العمة شاحبة جداً ، على وجهها تعبير مرعب وصرخت مادلين « آه يا عمتى » وركعت بجوار السرير ووضعت يدها فوق جبينها .

إلتفتت العمة « ماذا حدث يا صغيرتى ؟ » إتجه جويل ورفع السرير قليلاً ، إبتسمت العجوز له ، وإسترخت ، وغمغمت مادلين « هبت العاصفة كنا فى الجزيرة عندما هبت ، وذهبنا إلى منزل موريشسون للإحتماء به ؛ والقارب تحطم ؛ لذا إضطررنا لقضاء الليلة هناك ، أشعر بمرارة شديدة بسبب قلقك علىّ كثيراً !! » .

إبتسمت العمة بلطف « لم أقلق عليك ، لقد ترك جويل رسالة يخبرنى أنك ستقضين الليلة مع أصدقاء ، الشىء الوحيد الذى أزعجنى هو خوفى من المستشفى ، تعرفين أننى جبانة ، الآن أشعر بتحسن ، لرؤيتكم سعداء معاً ! » .

« آه يا عمتى » تحرك جويل ووضع يده فوق كتفها ، واصلت العمة حديثاً « لا ، لم أكن قلقة جداً ، كنت أعرف أن جويل معك ـــ ولدى ثقة لا حد لها فى جويل ، من هم الأصدقاء الذين قضيتم الليلة معهم ؟ » .

« أصدقاء ، نحن ـــ » .

قاطعها جويل « كنا وحدنا ، نحن الإثنين فقط » .

« أنتما الإثنين فقط ؟ » تفحصت بنظراتها الحادة العجوز كليهما ، وتلاشت إبتسامتها .

خطا جويل ناحيتها وحكى لها القصة بأكملها بكل

تفاصيلها غير ملتفتاً لإحتجاج مادلين الخفى .

إنتهت حكاية جويل للعمة وأضاف مؤكداً لها « إبنة أخيك لم تفعل شىء تخجل منه » .

قالت العجوز : « لا أذكر أحداً تحدث عن الخجل ؛ لم أخجل أبداً منها ، ولا أظننى سأخجل منها الآن ، توقفى عن البكاء يا مادلين ! هكذا هى إبنتى » مسحت جبينها بيدها بلطف وحنان ، ومسحت شعرها كما كانت تفعل لها فى طفولتها .

إبتسمت مادلين « أنا سعيدة أنك فهمت الوضع يا عمتى ، أظن أن هناك كثيرين فى لاكونيا لن يفهموا ! » .

ردت العمة « طبعاً ، الزمن تغير كثيراً عما كنت شابة مثلك ، الحب ، التليفون ، الراديو ، التليفزيون ، السيارات ، النساء يعملن خارج المنزل ، كل شىء تغير ، لكن الطبيعة البشرية لم تتغير لكن مع ذلك يجب ألا نقلق ، يا حبيبتى ، الجيران سيثرثرون ؛ لم يعد فى العمر متسع للقلق ، وأنت شابة يمكنك الإنتقال لمكان آخر لو إضطررت لذلك ؛ لا تقلقى أبداً ، مستر فيرمونت رجل لطيف ، المدينة كلها ستعرفه مع حلول الليل ، لكن يجب ألا نهتم بشائعات المدينة !! » وألقت برأسها فوق الوسادة وهى مبتسمة ، عيناها تلمع ببريق داخلى وكأنها تستشرق الغيب !!

قالت مادلين لنفسها خدود عمتى العجوز سرى فيها الدم ، كما لو كانت سعيدة لشىء ما ، غمغمت « آه يا عمتى » كانت كلماتها تتخلل دموعها « لم أفعل شيئاً ـــ أى شىء لمساعدتك وأجعلك تتحسنين » .

تنهدت العجوز « لا أظن أن هناك شىء يفيدنى ، لكن

www.elromancia.com

أعظم أمنياتى كانت دائماً ـــ » .

قاطعها جويل « أظننى أعرف الإجابة ، أنا ومادلين سنتزوج ، ألا يحل ذلك المشكلة ؟ » .

إنفجرت الكلمات فى عقل مادلين مثل قنبلة نووية ، أنا ومادلين نتزوج !! لن تتمنى شيئاً من هدايا شجرة عيد الميلاد أهم وأفضل من ذلك ! وما زالت ـــ

عارضته « لا يمكنك فعل ذلك ولا يمكننى أن أطلب منك ذلك ! سمعتى ليست بهذه الأهمية ! » .

أكد لها « لا يجب أن تطلبى أنت ، أنا الذى أطلب وسمعتك وسمعة عمتك تهمنى ، فوق ذلك ، طالما أننى سبب المشكلة ، يجب أن أكون حلها » .

إعترفت العمة العجوز « دائماً كنت أتمنى رؤيتك متزوجة ؛ سيكون شيئاً رائعاً يامادلين لو عرفت طريقك بوضوح ، ليس بسبب تلك الشائعة السخيفة ، لكن بسبب ـــ حسناً ؛ تعرفين أنك تحتاجين رجلاً قوياً ، ياعزيزتى ، زواجك من رجل ضعيف سيدمرك ، لكن من رجل مثل جويل ـــ سيكون رائعاً !! » .

تفحصت مادلين وجه عمتها ، كانت مبتسمة وتلهف وسرور لم تره فى عينيها منذ سنين .

كرر جويل « سأكون سعيداً لو تزوجتك يامادلين » وضع يده حول كتفيها .

غمغمت « من أجل عمتى ؟ » .

أصر « من أجلنا جميعاً » .

إلتفتت إلى عمتها « ها هى قد حلت ياعمتى ، الآن يجب أن تتحسنى بسرعة حتى تحضرى الزفاف » .

أعلن جويل « أنا بحاجة لمحادثة فتاتى » تناول يدها وخرج

بها ناحية الصالة .

صرخت فيه « يجب ألا تلعب دور طرازان ، يجب أن أعالج من جرح العاصفة حتى أطمئن ! » .

« لا تقلقى من جرح صغير ، ألا ترين الفرح فى عيون عمتك ؟ الخدود المتوردة ؟ هى مريضة يامادلين ، هذه علامة الحمى ، يجب أن تتجنب الإثارة القوية ! هى تريد زواجك بسرعة ، ولو تأجل للغد ـــ من يدرى هل سيكون لها غد !! » .

إستندت عليه وكأن قدميها عاجزة على حملها « آه ياعمتى ! هل ستموت ؟ » .

« لا أدرى ، لست طبيباً ، هل أنت مستعدة لإقتناص الفرصة ؟ » .

أجابته « لا ، أنا ـــ لا أريد ذلك ، لكن كيف ـــ ؟ » .

« سنتزوج الآن هنا ، بجوار سريرها ، يمكننا الإتفاق مع المستشفى » .

« لكن ـــ لكن نحن بحاجة لتصريح ، ووقت » .

إترك لىّ الأمر والتفاصيل يامادلين » .

عادوا إلى الغرفة ، متأبطى الأذرع « عمتى » .

« أنا لست نائمة ، أريح عينى فقط ، أشعر كأننى كنت مصابة فى حادثة ، الآن ماذا ستفعلون ؟ حددتم موعد الزفاف ؟ » .

أجاب جويل « تمام ، أيهمك أن تكونى شاهدة الزفاف ؟ » .

« لا أدرى متى يمكننى » .

« لا تقلقى ، لو تحملت الصدمة ، سنتزوج هنا بجوار سريرك » .

www.elromancia.com

حاولت الإعتدال لتجلس «آه يا إبنتى !! متى قررت عمل هذه المراسيم ؟ » .

«فى عشر دقائق، لو وافقت على زواج إبنة أخيك منى » .

«عشر دقائق ؟ طبعاً أوافق يا مادلين !! » .

«تعجبت مادلين «عشر دقائق !! » .

بحسم أكد جويل «عشر دقائق، تبتسمان لبعضكما وأنا سأنزل للصالة لمقابلة القسيس » قبل مادلين والعمة .

«قالت العمة لها «أمسكى يدى » .

خرج وهى تبتسم له، ووجدت هنرى جاء خلفها وقال :

«جئت بمجرد سماعى، لكن الرسالة مشوشة ماذا حدث يا مادلين ؟ » .

رد جويل «إذنت أنت هنرى » وعاد للغرفة حدق هنرى فيه، كأن عداء إنفجر بينهما .

قالت مادلين : «لا أدرى شيئاً عن الرسالة، هل بخصوص زفافى ؟ » .

صاح هنرى «آه، أخيراً !!، إذن أخيراً عاد إليك عقلك يا مادلين !! » .

«نعم، أظن ذلك، لكن ــ » .

«لكن هذا هو الوقت الملائم «كانت لهجته كأنه فاز بيانصيب إنجلترا، وأضاف «يمكننا قضاء شهر عسلنا » .

تنهدت «آه يا هنرى !! » فتحت العمة عينها وحدقت فيه .

قاطعها جويل «أظنك فهمت خطأ، أنا العريس ولست أنت !! » .

شعر هنرى بالصدمة؛ وجهه الأحمر صار شاحباً، جذب

منديل يده من جيب المعطف ومسح جبينه «مادلين !! لا يمكنك أن تفعلى هذا بى، لقد حطمت قلبى !! » .

علق جويل «أخبريه عن بيع منزل موريشيسون » كانت غطرسته واضحة !!

تراجع هنرى «أتظن أن صفقة المنزل تشفى قلباً محطماً !! ؟ » .

إعترفت مادلين «وقارباً محطماً أيضاً، العاصفة حطمته، لم يتبقى منه شىء » .

أمرها جويل «أخبريه عن سعر الصفقة، أنا واثق أن القارب مؤمن عليه » .

سأله «هل أنت واثق ؟ » .

أجابه «أنا واثق، إبقى معنا لحضور الزفاف يمكن أن تكون شاهداً » .

«حسناً، المال لن يشفى قلباً محطماً، لكن مبلغاً كبيراً قد يخفف الألم !! » .

غمغم جويل «إذن يجب أن تحمد الله » .

حدقت مادلين فيهما، هنرى تستطيع أن تفهمه ــ رجل يحب بعمق وإخلاص، محفظته محور كل إهتمامه !!، جويل شوش ذهنها، تقسم الآن أنه أظهر علامات غيرة سوداء، كانت ستسأله سؤالين لولا حضور زائرين أولها تعرفه، هارى لودوس، الأخرى إمرأة فى الخمسين طويلة، قال جويل بلطف : «آه، اللعنة، ماذا تفعلين هنا يا أمى ؟ » .

أعلن هارى «أظن أن كل شىء تمام، هذا مثير، أليس كذلك ؟ لم أفعل شىء مثل هذا أبداً ! أهذه هى الخطيبة الصغيرة ؟ » .

www.elromancia.com

إبتلعت مادلين من أجل خاطر جويل، كرر هارى «مثير، وهذه هى أم العروسة؟» إعتدلت العمة لتصحح له، لكنه إختفى أسرع من الريح، وإلتفت إلى أم جويل «وأنت ـــ».

صـــاح أم فيرمونت «ماذا يجرى هنا؟» كأنها تطلق أول طلقة فى الحرب العالمية الثالثة.

تدخل جويل «هذه أمى، لم يكن وجودها ضرورى للمناسبة، سأتزوج يا أمى».

حدقت أمه فيه ثم فى مادلين «الطفل لا يعرف فعلاً ماذا سيقع فيه!!، يالحماقتك ياجويل أنت أحمق، أقولها بنفسى!!».

«أكبر أخطائك يا أمى أنك تتحدثين كثيراً أظننى بإمكانى تولى أمورى بنفسى لو أغلقت فمك!!».

شعرت مادلين بفضيحة الحوار «جويل!!» فى حياتها لم يتحدث أحد لأمه بهذه الطريقة!!

نظر إليها «إصمتى يامادلين» ثم إلتفت لأمه «كلمة زيادة ياأمى ولن أرسل لك شيكا الشهر القادم!».

قالت العمة بصوت ملؤه الدهشة «بداية طقوس الزفاف، ليس لدى وقت أضيعه، أنا بحاجة للراحة».

جاء الدكتور بورتون على صياح الزحام، كان يبدو مصاباً بنزلة برد، كانت كحته تزعجه كان هارى لـــودوس بادى الفخر والسرور بجوار السرير، وإنتقل للجانب الآخر من تلقاء نفسه وأخذ هنرى معه، الأم أغلقت فمها ووقفت واجمة، تحدث هارى «والآن إذن؛ ياعزيزى المحبوب ـــ» وفتح كتاب صلواته.

وقفت مادلين متصلبة بجواره عاجزة عن الإلتفات برأسها

لتراه، أمسكت بيدها العمة مارى تحدق فيها بتوتر شديد، والحب ملىء عيونها.

شعرت مادلين بتشوش من هذا الزحام، وقالت لنفسها لتدع الأمر يتم أمام العمة، لتشعر بالفرح، هذا كل ماتريده، لماذا فعل كل هذا؟

رفعت رأسها، كان القس يحدق فيها إنحنى جويل وهمس لها «قولى أريده».

«أريده».

كل أحلام الصيف الشابة التى حلمت بها مادلين كاربونيو أن تهبط درج الكنيسة مرتدية فستانها الأبيض فى طابور الزفاف، بينما ينتظرها عريس طويل عند مـــذبح الكنيسة، كلها تلاشت. كانت هناك زهور، باقة ورد بجوار سرير العمة، لكن رائحة الورد لا تطغى على رائحة المضادات الحيوية!! وهذا ماستبقى ذكراه طيلة حياتها، قالت مادلين لنفسها، لكن كله من أجل العمة التى ربما بقى من عمرها ساعات معدودة.

تبللت عيون العمة بالدموع، كانت تبكى وتحاول كتم بكاءها، الغرفة صامتة، كأن العالم قد أقلع عن الضجيج، وقال القسيس «أعلن زواجكما أنت وزوجتك، قبل عروسك».

كانت مادلين واقفة، ادارها جويل ناحيته وقبلها بلطف على خدودها.

قالت أمه وهى خارجة «لن أقبل هذا سنتحدث ياجويل!!».

قال القسيس: «يجب أن يوقع الشهود هنا»

قالت العمة: «الحمد لله أن تم الزواج».

وهو يوقع سأل هنرى بلهفة «ماذا عن الصفقة؟».

www.elromancia.com

رد جويل « سأتصل بك ، يا إلهى ، هذا زفاف يا رجل وليس عقد إتفاق للبيع » .

إنحنت مادلين على عمتها « عمتى ؟ أنت بخير؟ تم الزواج ، أرجو أن يسعدك » .

إبتسمت العمة « نعم يا صغيرتى ، تم وأنا سعيدة ، كما أنك ستكونى سعيدة ، هو رجل فعلاً ؛ ثقى به » .

« أنا ، نعم ، طبعاً ، أنا نعم » .

أعلن الطبيب « تمام ، هيا ، الزوار فى حدود إثنين ، والزيارة نصف ساعة ، واضح ! » .

قال زوجها « هيا يا مادلين نعود للمنزل » .

كرر القسيس « أطيب التهانى » .

غمغم جويل « مثل الفأر الأبيض فى « أليس فى بلاد العجائب » وهو ينظر للقس وهو يمشى .

قال هنرى : « سأتصل بك حول تفاصيل المنزل آه ، نسيت تماماً ، أطيب التهانى ! » .

« ياه ، أطيب التهانى لنا جميعاً ، هيا نعود للمنزل يا زوجتى » .

كان الطبيب فى الغرفة ليتأكد من ذهاب الجميع وقال : « لم أفهم فعلاً ما جرى ، أنت جئت للمستشفى لفحصك السنوى ، وإبنة أخيك يبدو أنها جاءت مرعوبة » .

قالت العمة : لا تسألنى ، مادلين عنيدة ، وهى التى قامت بكل ترتيبات دخولى المستشفى منذ ثلاثة شهور ، يجب أن تنتهى بسرعة ، هناك أمور مثيرة تحدث فى المنزل ، وأنا أتلهف !! » .

« ليس هناك إثارة أكثر ، سأقول لزوج إبنة أخيك ، يبدو أنه قادر على حملك بين ذراعيه أنتما الإثنين ، ما إسمه ؟ » .

« فيرمونت ، أليس اسماً رومانسياً ؟ » .

ضحك الطبيب « روبيلو أفضل » .

ظلت مادلين صامتة طيلة الطريق ، عندما نزل جويل من السيارة ليلحق بها ومبتسماً إبتسمت وتظاهرت بالسعادة .

مادلين غمغمت له « شىء رائع ما فعلته ، لا أدرى كيف أشكرك يا جويل ، أيضاً شىء مدهش ، لم يكن لدى أى فكرة ، حسناً ، أعرف أن عمتى كانت تريد زواجى ، لكننى لم أتوقع زواجاً مفاجئاً كهذا ، هل أنا واضحة ؟ » .

« طبعاً ؛ دائماً صريحة ؛ ذهنك واضح ، يا مادلين فيرمونت » .

« لا أشعر أننى سوية الآن ، عالمى يدور بىّ فى دوامة » ثم صمتت .

عند الشرفة كانت القطة واقفة كأنها تحرس المنزل ، وكان الببغاء يصيح « قطة مجنونة !! » « قارب النجاة ، الصغير اللطيف » .

قالت مادلين : « حسناً ، على الأقل ما زالوا على قيد الحياة ، ألن تجىء لتناول فنجان قهوة ؟ » .

« طبعـــاً » .

غمغم جويل « أتمنى فقط أن تبقى أمى هنا يوم واحد » وسار خلفها ، قالت مادلين لنفسها ، أنظرى إليه ، يحدق فى المائدة ، ممتلىء وقادر ودافىء ، وهو زوجى !! ركزت ، محاولة إستعادة كل ما حدث اليوم « جويل ، أظن أننا ، أنا وأنت بحاجة لحديث » .

« وهو كذلك ، بدون إنفعال » .

« هناك شىء ممتع يجرى حولنا ، يا جويل فيرمونت ، ربما

أشياء كثيرة ، لكن أستطيع تناول واحد فقط » .

أزاح خصلة شعره عن عينيه وإبتسم لها وجذب مقعده بجوارها « لدى نفس الإحساس حسناً ، أكثر من إحساس ، أنت لست روائياً ! » .

دافع عن نفسه « ليس حقيقياً ، أنا كاتب روائى ، أريد أن أصبح كاتباً ، لكن أعمال العائلة تغرق رأسى ، هذه الأعمال تطعم وتكسى أمى ، وأنا ، وقبيلة من الأقارب لقد تجاهلت هذا ، إن كانت هذه هى الكلمة الصحيحة ، لم أرد أبداً أن أكون رجل أعمال ، قلت هذا دائماً ، أكره رجال الأعمال ، حتى لحظة أن قلت لىّ شيئاً فى الرحلة ، أتذكرين ؟ » .

أخشى أننى لا أذكر ، يبدو وكأنه من عشرة أعوام ـــ كل ما جرى » .

« قلت أنه لا يهم ماذا تفعل ، طالما تبذل قصارى جهدك وقدراتك ، أتذكرين ؟ وهذا جعلنى أصحح تفكيرى ، كنت ألعب فى حياتى وألهو؛ متجاهلاً كل مسئولياتى ، وأنت جعلتينى أضع يدى على الطريق الصحيح ، بكلمة واحدة ، يا سيدتى ، إذن الآن ، ساكون الأفضل هنا ، الأحسن ... » .

« عامل بقالة ! فيرمونت !! سوبرماركت ؟ » .

ضحك « أعرف مدى ذكائك ولا يمكن إستغفالك أبداً ، فعلاً سوبرماركت ، إثنين وخمسين سوبرماركت فى البلاد كلها ! أنا الذى أديرها ، أنت نائبة الرئيس مسئولة عن كل شىء » .

« ها ، ماذا أعرف » .

« تعرفين ماذا تريدين من السوبرماركت ، وأنا أعرف ماذا أريد منك ، سنكون فريقاً مدهشاً يا مادلين ، فى المنزل وفى

العمل » .

« لماذا يا جويل فيرمونت » تنهدت بسعادة وهى تقف « أعتقد أنك خروف فى زى الخروف ، وبدلاً من حديثك إشرب القهوة وهى ساخنة !! » .

www.elromancia.com

الفصل التاسع

اللغز

ألقت مادلين بجسدها فوق الأريكة فى غرفة المعيشة « لقد ذهب الجميع » كانت شمس الأصيل يمكن رؤيتها فوق قمم الجبال المحيطة بالمدينة . وشردت وهى تقول لنفسها ، أنا امرأة متزوجة خلال إثنى عشر ساعة ! إجتاحتها الفكرة وإبتسمت لها .

أكد جويل « الجميع ذهبوا ، يبدو أن مستر سالومان كان متعباً » .

ضحكت « ومستر هاتسون كان شارداً لا يبدو أنه يعرف عن مشتروات البقالة ، أظن أن زوجته تعرف أكثر منه » تنهدت بإرتياح وهى تخلع حذاءها ، مظهر المديرين تماماً فى منتصف يوم زفافها ، أزعجها ، ولا تدرى كيف تعيد ترتيب الأمور .

قال جويل « الآن هناك فكرة ؛ لجنة من الزوجات للتسوق ولتقدير أفضل إدارة ؟ ربما أطرح ذلك على المجلس بعد نقلهم » .

« نقلهم ؟ » .

« نعم ، سأنقل المقرات الرئيسية للشركة فى لاكونيا ، أحب أن تكون هنا » .

قالت بنعومة « وكذلك أنا ، قلت أن الطبيب أعطاك بعض

المعلومات ؟ » .

« حسناً ، ليس بالضبط ، لقد حصلت على معلومات غير مهمة ، عمتك تحسنت ، ستعود للمنزل غداً ! » .

قالت متشككة « لماذا ، أخبار مدهشة ، أواثق أنت ؟ هل قالت لك الممرضة ؟ » .

« توقعت أن تقولى ذلك » .

قالت : « إذن سأذهب الليلة أثناء مواعيد الزيارة ، وأعطيها بعض الملابس لكى تجىء بها » .

« لا أظن أن ذلك تصرف حكيم ، عمتك بحاجة للنوم ، كما تعرفين ، لا أظن أن الطبيب سيسمح بزيارة إضافية ، وعمتك سيحضرها غداً للمنزل » .

ردت « سأذهب للسرير ، طاب مساؤك » .

« طاب مساؤك » .

ذهبت وذهنها مشغول بأشياء أخرى ، نظفت أسنانها ، مشطت شعرها ، نظفت وجهها من الماكياج ، كانت القطة تحت قدميها وهى تدخل غرفة نومها « عمتى ستعود غداً !! » .

كان رأسها يموج بأفكار غامضة ، وقائع جلست على حافة السرير تفكر ، غداً ستتضح الأمور ، هزت رأسها ، لكن النوم عصى جفونها والسهاد أبى أن يفارقها ، تناولت رواية كانت تقرأها طيلة إسبوع ، وضعت الكتاب فوق بطنها وإستمعت لضوضاء آتية من الخارج ، إنفتح باب غرفتها « يا إلهى ماذا تفعل فى غرفة نومى ؟ » إعتدلت على السرير ، بينما شبح يتحرك ناحيتها « جويل ؟ » .

« حسناً ، أنا زوجك » .

« آه يا زوجى ! ، أظن أننى نسيت مسألة الزواج !! » .

« أعرف لكننى لم أنسى ، أتحاولين أن تقولى أنك لم تكونى تريدين زواجى ؟ » .

« أنا ــ لا ، لم أحلم بذلك ، كيف أنسى » .

ضحك « سقطة فرويدية » .

« لا أدرى كثيراً عن هذا ، فيما عدا ما أشاهده فى التليفزيون » .

« تناول القطة « هذا لا أتحمله » إتجه إلى الباب وطوح به فى الصالة وأغلق الباب خلفه .

غمغمت « يبدو أنك ــ » .

ضحك « الأفضل أن آكلك !! » .

أرعدت الدنيا وبرقت السماء وعانقت النجوم القمر ، وتطايرت الأرض لتعانق السماء ، وضحك وهو يقول لها : « إن كان هذا ما تعلمتــه من التليفزيون ، أريد مشاهدة تلك القناة !! » .

أشرق الصباح مضيئاً سعيداً مبكراً ، ولم تنتبه مادلين ، لقد ظلت مستيقظة مع زوجها حتى بزوغ أول خيوط ضياء النهار ، كانت الصالة باردة على قدميها الحافية ، لكن جرس الباب يدق للمرة الثالثة ، وصلت مادلين للباب ، وهى منكوشة الشعر غير مرتبة الهندام ، كانت العمة واقفة بالباب « آه ، يا عمتى ! » .

« قبل أن تحتضنينى حتى الموت » .

« أدخلى يا عمتى ، صعب أن أصدق ! أمس كنت على وشك الموت وكنت أنا بمفردى عزباء والآن أنت شفيت وأنا ، تعالى يا حبى ! » .

« على وشك الموت ؟ لا أذكر هذا » إتجهت العمة إلى

المطبخ وجلست بجوار المائدة وأمرتها « أعدى الشاى ، لا يعرفون كيف يعدون الشاى فى المستشفى ، أو أى شىء آخر للأكل ، بالمناسبة » .

« آه يا عمتى ! لقد إفتقدتك كثيراً !! » .

« أشك !! ، كما أذكر ليلة زفافى نسيت العالم كله !! » .

« لكن ــ لا أعرف أنك كنت متزوجة !! » .

« لأى سبب كنت ستعرفين ، قبل ميلادك بزمن يا عزيزتى ، شارلى كان عمره عشرين عاماً ، وذهب للحرب ، الحرب العالمية الأولى ، والدنيا رفضــوا ، لكننا تزوجنا قبل إبحاره لفرنسا بإسبوع » .

أضافت العمة وهى تتناول كوب الشاى « لم يرجع شارلى !! » لكنك أنت ؟ أين زوجك ؟ ماذا ليلة ويوم عسلكم !! » .

إبتسمت مادلين ، زوجى !! لولا أننى حذرة لأغمى على ، الرب لم يخلق الرجال لىّ ! ، ثم قالت لعمتها : « لقد ترك لى رسالة ، يعتقد ، أنه لا يريد أن يقيم هنا عندما تعودين للمنزل ، لأنه يعتقد أن ذلك يفسد حياتنا معاً ، هل تتخيلى ذلك ؟ وسنؤجل شهر العسل حتى تتحسنى يا عمتى » .

فاضت عيون العمة بنظرة متشككة وقالت : « لا لا أتخيله » .

« يجب أن يذهب جويل إلى ماساشوستش ليوم ، كتب شيئاً عن متابعته لأمور هناك وسيعود الليلة بالهليوكبتر أتصدقين ذلك ؟ كنت على حق يا عمة ، من السهل أن تحبى رجل ثرى مثل الفقير تماماً ، يا عمتى وأعتقد أننى سأساعده عندما ينتهى من كتابة روايته ، ها ها !! » .

« أخيراً إكتشفت » .

« وليس هذا كل ما إكتشفته » .

قالت العجوز: « أنا متعبة وبحاجة لإغفاءة ، أنت لم تفهمين يا عزيزتي ؟ » .

« طبعاً ، فهمت ، دعيني أساعدك » .

أمضت ساعة في إعداد سرير عمتها ، التي غرقت في النوم سريعاً ، بدت بصحة أفضل مما كانت ، وهبطت مادلين السلم .

هناك أمور يجب إنجازها ، لقد جاء أكثر من خمسين زائراً لتقديم التهاني أمس ، هناك أواني ، كئوس ، أكواب ، منافض سجائر ، الأرضية بحاجة لتنظيف ، والمطبخ !! .

عند الظهر إنتهت من واجبها المنزلي ، لم المنزل ذهبت لتجد عمتها جالسة مستريحة إلتفتت إليها بتعبير الرضا على وجهها ، عبر الصالة حيث كانت غرفة نوم مادلين ذات يوم ؛ إسترجعت ليلة العرس وضحكت ، جويل ومادلين ! تذكرت بدلته وقالت لنفسها الزوجة الصالحة تنظف حاجيات زوجها ، صحيح ؟

يا لعجائب ما يفعله الحب ، أحضرت حقيبته والجاكت والبنطلون والجوارب ، وأفرغت جيوب الجاكت ونظفت كل ملابسه ، وجدت خطابات قديمة مفتوحة ، مذكرات شخصية ، عملة نقدية ، مناديل تساءلت هل الزوجة الوفية تقرأ رسائل زوجها ؟ أراحت نفسها ، لماذا لا ؟ لكن ليس الآن . جمعت كل تلك الأشياء ووضعتها في جيب المريلة ، إنعكست تقطيبة هائلة أمامها على سطح المرآة ، مادلين فيرمونت ، وهبطت السلم ، كان ذهنها يتراقص بالإثارة ومتعة ليلة عرسها وهي تعبر الشرفة وبيدها كوب شاي مثلج ، تسلقت أحد المقاعد وأزالت ستارة القفص ، صاح الببغاء « كم الساعة » وأضاف

« إقتلي القطة » وتظاهر بالموت ضحكت مادلين « لن تستغفلني مرتين !! » وفتحت باب القفص . في طريقها للمنزل ، تحرك أمامها ظل ، مسحت عيونها ، إمرأة طويلة كانت تمشي ببطء ناحية السياج وتوقفت هناك ، على وجهها تعبير واجم « يا ماما ! » صاح الببغاء ، وطار ليدور حولها ، وهبط على كتفها .

غمغمت مادلين « ماما فعلاً ، مجرد كائن يحبها ، وهي حاتي » في لحظة كانت تخطو ناحيتها ومعها كوبين من الشاي المثلج ، إبتعدت المرأة ، لكن عندما صاح الببغاء توقفت وإنتظرت ، ناداتها مادلين « سيدة فيرمونت ، أنا مادلين كاربونيو ، أنا آسفة مادلين فيرمونت ، تفضلي شاي » .

« لا أريده ولا أحبه » عن قرب بدت في بداية الخمسينات ، ملابسها مهندمة ، مع طيف جمال ذابل ، خدود لامعة ، شعرها أشهب ، فستانها رمادي وسيم وليس غالياً ، لم تكن عدوانية كأمس .

« إذن تزوجت إبني ؟ » .

« أظن ذلك ، أتمنى ألا يضايقك ، لقد ذهب للعمل في الصباح » .

« ذهب لأي شيء ؟ » كانت المرأة مبتسمة فرحاً .

كررت « للعمل ، لم أفهم ، أمس جاءنا ضيوف من الشركة من مقرها الرئيسي ، واليوم ذهب جويل قال لمتابعة شيء في قسم التوزيع » .

لمعت عيون المرأة « إذن فعلاً يقوم بشيء مفيد !! وأنت مسئولة عن كل ذلك ؟ يا إلهي ، طيلة أعوام كنت أحاول دفعه لتولي كل الأمور ، حسناً يا شابة ، أظن أنني أخطأت في حقك

أمس ، فات الأوان للترحيب بك ضمن العائلة » .

« لا يهم » ضحكت مادلين وهى تعبر السياج قبلت خدودها الناعمة ، كانت عيون حماتها مليء بالدموع ، وأدركت أن هناك الكثير لتبادل الحديث معها ، ومع زوجها بخصوص أمه !

دعتها « لماذا لا تجيئين للمنزل لتقابلى عمتى مارى ؟ كل ما ستقومين به هو المشى للمنزل المجاور وتعبرين السياج » .

نظرت السيدة فيرمونت إلى السياج الفاصل بينهما وهزت رأسها « لا ، لا أظن ذلك ، إبنى وضع السياج ثم إنتقل للجانب الآخر ، يبدو أن هذه دلالة ، لم يعد لىّ نية للتدخل فى حياته ؛ أتمنى أن تكونى سعيدة معه يا مادلين » .

قاطعتها « من فضلك نادينى مادى ، الجميع ينادونى إلا إذا كانوا غاضبين منىّ » .

« وهو كذلك يا مادى ، لكن أحذرك ، لا تتركيه يبعد عنك لأى سبب ، وإلا سينقلب عليك !! هيا الآن ، يا ببغاء » .

طيلة حديثهما لم يلحظ أحد القطة التى إختبأت وسط الحشائش ، وقفزت فجأة على الببغاء فوق كتف مادى ، لكن الببغاء بخبرة أربعين عاماً ، طار مباشرة فى الهواء ثم عاد على ظهر القطة ، ونقرها وأنشبت القطة مخالبها فى قميص مادلين ثم هربت للمنزل . دار الببغاء حولها ليخيف القطة نسيت مادلين ما خططت لتقوله للسيدة وضحكت السيدة فيرمونت « الببغاء سيزعجه القطة كثيراً ، حتى يقف كل منهما فى موضعه يا مادى ، ولن يحدث بينهما متاعب ، لا يختلفان كثيراً عن الزوجين » .

« ألا تنوين البقاء هنا لفترة يا سيدة فيرمونت ؟ » .

« لا أدرى يا مادى ، أريد أن أتحدث مع إبنى ، حديث

حقيقى ، شىء لم نفعله من قبل ، لكن الأمور ـــ » .

« الأمور ستتحسن ، أعرف أنها ستكون أفضل إبقى على الأقل ليوم أو ليومين » .

« لو صممت يا صغيرتى سيكون صعباً ، صعب إحضار خادمة أو طاهية ، وصعب أن أرعى نفسى » توقفت للحظة « مادلين إسم محبوب ، قال لىّ أحدهم أنك فقدت أبوك وأمك معاً ، إعتبرينى أمك ! » إبتسمت مادلين .

قامت العمة وإرتدت ملابسها وكانت بجوار التليفون عندما عادت مادلين ، وقالت العمة : « لا أستطيع النوم بالنهار ، سأدعو صديقاتى يا مادى » .

« طبعاً ، يمكننى إعداد شىء لهن » وذهبت إلى المطبخ .

فى تمام الساعة الثانية حضرت سيدات نادى البريدج وقدمت لهن مادى الشاى والسندويتشات ، وقالت السيدة ماهونى : « يا إبنتى ، كم كبرت يا مادلين ! وتزوجت ؟ لا أصدق هذا » .

قالت مادلين لنفسها : أنا نفسى لا أصدق !! تركنى منذ ست ساعات ! كيف كنت أظن أننى أكرهه !!

دق جرس الباب ، صاح الببغاء ، وقالت مادلين : « قادمة ، أنا قادمة » وذهبت حافية القدمين كان ساعى البريد خارج الباب .

« رسالة خاصة ، وقعى هنا يا مادلين » سلمها حزمة رسالة ، ونصف دستة بيانات دعاية .

بحركة خفيفة تذكرت أشياء زوجها التى أفرغتها من جاكتته ، ويجب أن تستدعى المنظف ، كان على المظروف « تحذير ثانى » ليس لديها سنت واحد فى البنك ، حتى دفع لها

هنرى عمولتها الأخيرة قبل أن تفض المظروف سمعت السيدة ماكفرى تقول: «لو كانت فاتورة أتركها لزوجها».

فضت المظروف بعناية، كان الخطاب مرسلاً من شركة تحمل إسم چينستوك «وظيفة مديرة منزل لوقت إضافى فى جزيرة جلورى» تركته بجوارها، تناولت الفاتورة ودرستها، لم يتغير شىء نظرت للمرة الثالثة فى قمة الفاتورة، التاريخ الموضح لمدة الخدمة كان ١٤ أغسطس؛ يومين قبل أن تقضى هى وجويل الليلة فى منزل موريشسون، أرعد عقلها؛ وتذكرت كل شىء.

تراكمت الوقائع وبدأ عقلها يحلل؛ يومين فقط قبل الذهاب للجزيرة، كان قد تعاقد مع طاقم كامل للخدمة فى جزيرة لم يسمع عنها من قبل؟ وضعت الفاتورة جانباً وتناولت مظروف آخر، فاتورة أخرى تطالبه بمبلغ فلكى قيمة «رحلة جوية لشخصين من جزيرة جلورى يوم ١٥ أغسطس، تعليمات خاصة: عند الفجر إبعد عن رأس يبدل، فى حالة المتاعب، إتصل بمستر جويل فيرمونت، رقم تليفون لاكونيا ٥٥٥٦٥٠٥!!».

كان المظروف الثالث فخماً، فضت الورقة «مدينة لاكونيا» كان مكتوباً على رأس الورقة رخصة زواج إسمها عليها، تاريخها ١٣ أغسطس!!

فجأة أدركت مادلين أنه يوم أسود حقاً!! داخل المنزل كانت سيدات نادى البريدج يثرثرن، وقفت وهى شاردة، تسترجع كل الحوادث؛ التى أدت إلى يوم قدرها، كانت تخطو فى الشرفة، عندما إنفتح الباب الأمامى وسمعت صوتاً مرحاً يناديها «مادى؟ أنا هنا!».

لا تجعلينه يبعد لأى سبب! أمه قالت هذا جويل فيرمونت، غير العادى! لقد خزن أشياء كثيرة فى منزل موريشسون قبل ذهابهم بيومين ورتب كل شىء، للإنقاذ الجوى قبل ذهابهم بيوم، كل هذا حتى قبل وقوع العاصفة، العاصفة، ومرض عمتى مارى؟ لكن كيف نسج كل تلك الفخاخ؟ عمتى على سرير موتها، يا مادلين!! لذا يجب أن نتزوج الآن، صحيح!! الرجل المغرور، المتغطرس!! لم يتغير شىء! هو الرجل الذى أحبه والذى أكرهه!! لذا سأطرده وألقيه للوحوش!!

قالت من تحت ضرسها «ستقف فوق جثتى» هو رجل جيد، وفتاة عمرها سبعة وعشرين عاماً لن تجد مثل تلك الفرصة، لكن لو تركته يمضى بها لن أسيطر عليه!! وأعانى!!

هزت رأسها وهيأت وجهها لتواجهه فى حالة طبيعية، وتكبح غضبها، وخطت ناحية غرفة المعيشة، كان المذنب واقفاً بجوار العمة مارى فى حوار عميق إنقطع عندما دخلت.

ها أنت ياعزيزتى» خطا ناحيتها وقبلها إبتعدت عنه وقالت عمتها «أه يا إبنتى» وغرقت فى مقعدها.

سألها «أنا ـــ هل قضيت يوماً طيباً؟».

«أظننى بحاجة للحديث معك» وهى تنقر المظاريف بأصابعها.

www.elromancea.com

الفصل العاشر

الإعتراف

إسترخت العمة مارى فى مقعدها الخاص، وهى تشرب الشاى الذى قدمته مادلين لها «الآن ياعزيزتى، ماهى المشكلة؟».

«أعتقد أننى بحاجة لجمع مزيد من الدلائل» أجابتها مادلين وهى واقفة فى منتصف الغرفة.

«حسناً، أنا» بدأ جويل يتحدث.

أمرته «اش اش! الآن، ياعمتى لماذا دخلت المستشفى تحديداً؟».

أحنت عمتها رأسها، تماماً مثل الببغاء، هكذا فكرت مادلين بجنون «لماذا، مؤكد أنك نسيت، ألا تذكرين؟ الطبيب بيرتون قال يجب أن أعمل فحص سنوى، وأفضل شىء أن أدخل المستشفى ليومين كل عام حتى يقوموا بكل تلك الفحوصات».

«جميل، ياإلهى! كله بسيط، ويومى الثلاثاء والأربعاء هما اليومين اللذين حجزناهما».

أومأت عمتها بسعادة، وأنهت شرب الشاى.

واصلت مادلين حديثها «أتصدقين ياعمتى أننا وقعنا فى يد واحد من كبار المخادعين فى الحضارة الغربية!!».

«آه؛ لا يجب أن أقول هذا، إنها ــ بداية صغيرة لتبدأى معه؛ فى المستشفى عندما عقد قرانك على جويل، لكن ليس صعباً أن تنظرى كيف تمضى الأمور، وأنا لست مستعدة للتدخل، بالإضافة تعرفين كم كنت أتمنى أن أراك متزوجة».

«عمتى! عمتى العزيزة جداً، العظيمة!! نظرت العمة إليها، ووقفت على قدميها وقالت: «طالما لدى إقتناع عميق بفكرة أن الزواج شركة بين إثنين فقط، لذا سأترككم تتشاجران ــ».

قاطعتها مادلين «نتناقش».

أجابت عمتها «نعم، طبعاً، مناقشة، مهما كان موضوع المناقشة، أفهم أن والدة جويل فى المنزل المجاور، سأذهب إليها لأتحدث معها».

حذرتها «إمشى بحذر، هذا السياج الأحمق فى طريق الجميع، وربما مع الوقت سيؤدى به إلى باب المحكمة!!».

رد جويل «محاكمة عادلة، هاها!! المتهم مذنب حتى تثبت براءته، أليس هذا إسلوبك؟».

كانت نظرات عيونه الزرقاء تنذر بالرعد الغاضب، خرجت العمة من الغرفة بسرعة غير متوقعة من عجوز خارجة لتوها من المستشفى.

واصل حديثه «أنت زوجتى لست قاضية الزوج لايمكن إستجوابه بغير إرادته!».

هددته «الأفضل أن تتقبل بإرادتك، ياخبيث، لقد وضعت الغمامة على عيونى!!».

www.elromancia.com

« الآن تلومنى على أخطائك ، ليس هناك أعمى من لا يريدون أن يرون أمامهم ! » .

« هذا كفاية الآن ، إنتبه ، سأبقى فى الطابق الأرضى !! » .

« نعم ، لم يتم تنظيفه جيداً اليوم ، يجب أن تقضى وقتاً أطول مع « النظافة » لا « المواجهة » وتحترمين وضعى ، أنا رب العائلة الآن » .

صاحت « رب العائلة ، لماذا ؟ خلال عشرين دقيقة سأسلمك رأسك فى سلة !! » .

قاطعها « بأى تهمة » .

أعلنت « إرتكاب مؤامرة وخدعة للزواج منى ، أنت يا جويل فيرمونت ، أتتذكر يوم الرابع عشر من أغسطس ؟ » .

« هل هو عيد ميلاد الببغاء ؟ » .

« كان قبل ذهابنا للجزيرة بيومين ، ظهراً أو ليلاً ، يا جويل فيرمونت ، ألم تقم بعمل ترتيبات مع شركة جونستوك لتوفر لك حقائب للنوم وأخشاب تدفئة وخمور ـ وأشياء أخرى ـ وتوصلها لمنزل موريشسون ؟ » .

« وإن قلت لم أفعل ؟ » .

صاحت وهى تخرج الأوراق من جيبها وتمزقها نصفين « معى الفاتورة » .

« قرأت رسائلى ؟ أظن أن العروس الجديد يجب أن تثبت إستحقاقها للثقة بعد عدة أسابيع ! » .

« لا تراوغ ، أجب على السؤال !! » .

« أنا أسأل فقط ولا أجيب لذا لن أتحدث » .

« إذن تعترف أنك فعلت ؟ » .

« نعم أعترف ، ماذا حدث لتلك الفتاة الحلوة المحبوبة التى تزوجتها ؟ لا أدرى ما أراه أمامى الآن إمرأة سليطة اللسان !! بالتأكيد لا تريدين تبديد الليلة بدون راحة ! » .

فقط أجب عن سؤالى يا حكيم ، أليس صحيحاً أيضاً أن طائرة الإنقاذ ، لم تكن كذلك ؟ رتبت ذلك من قبل لتجىء لإرجاعنا ؟ » .

فعلت كل هذا ؛ إعتبرت ذلك تصرف صحيح فى وقته الآن أتأمل وأجد أنه ربما كان خطأ » .

صاحت « إذن كل شىء كان مصنوعاً ! » .

« ليس كل شىء ، العاصفة لم تكن ضمن خطتى أبداً ، وفقدان قارب هنرى » .

« إستمتعت بإهانة هنرى ، أليس كذلك ؟ كنت سعيداً بتحطيم قاربه !! ولم يفعل لك ما يضيرك أبداً ! » .

« طبعاً لم يضيرنى ، كان يحاول سرقة فتاتى أى إنسان عاقل لا يقبل ذلك !! » .

استعادت أعصابها المنفلتة « أنا ـ » .

« الآن يا مادلين كفى ، هكذا دائماً عندما تفقدين أعصابك » .

« لست مجنونة ، أنا فقط ـ مجنونة ! تجلس هكذا وكأن الزبد لن تظهر آثاره على فك !! وطيلة الوقت تخطط لموضع فخاخك لتأخذنى إلى الجزيرة » .

« لنكن فى منتهى العدل والوضوح » إعتدل فى جلسته ليقترب منها ، وتراجعت مبتعدة عنه « كما أتذكر أنت التى أخذتنى معك للجزيرة ! » .

« لا يهمنى ! » خرج الببغاء من القفص ونعق « سفينة

ضالة ، رفاق ، الصغيرة الرقيقة ! » وأكملت حديثها « أنت يا جويل فيرمونت الذى أخذتنى للجزيرة لتقويض سمعتى ، أليس كذلك ؟ » .

« أظن هذا صحيح ، ربما كانت فكرة جيدة وقتها ، كل ما مضى ، أخذتك للجزيرة لأسوى أمرى معك ، وإنتهزت فرصة مرض عمتك لأتزوجك ، ماذا تظنين ما كنت أقدر أن أفعله ؟ سمعتك فظيعة بأنك تتراجعين فى الدقيقة الأخيرة ، لو خطبتك بالطريقة العادية الطبيعية كنت ستواصلين هربك يا مادلين فيرمونت ، عمتى قالت لىّ كل شىء عن عاداتك ، وهذا ما توصلنا إليه الآن » .

« لكننى وصلت إلى ما أنا فيه الآن ، لأن رجلاً مخادعاً ناعماً جذبنى بطريقة لم يعرفها العالم أبداً !! » .

وأضافت بعد لحظة صمت بصوت متهدج ناعم « ولم أنتهى بعد من سرد مكائدك ، رخصة الزواج ماذا عنها ، كانت فى جيبك عندما ذهبنا إلى المستشفى ! وأعددتها قبل رحلة الجزيرة ؟ ماذا عن ذلك ؟ » .

« ربما هذه عادتى ، أحمل رخصة خالية من الإسم فى جيبى لأضع إسم العروس فى الوقت المناسب ؟ » .

« لا تقل هذا ، كل الرخص يجب أن تملأ أمام الموظف ! أنت خدعتنى يا جويل فيرمونت ، والآن عمتى مارى تتوقع إنجاب أطفال يمرحون حول المنزل و ـــ » .

« أتقولين أنك لا تريدين زواجى ؟ » .

« أنا ـــ لا ، أقصد ـــ نعم ، نعم أنا لا أريد زواجك » .

« فقط لأننى رتبت الزواج بطريقة سلسلة ناعمة ، لماذا تعارضين ؟ الزواج دائماً يحتاج إلى ترتيب ؛ منذ قرون !! أشعر

شعوراً مؤلماً لأننى إضطررت لإصطيادك يا مادلين ، لكننى أتمنى ألا تتراجعين ، أكره فكرة الطلاق ، لسنا وما زلنا فى صبيحة العرس !! » .

وضعت يديها خلفها وحدقت فيه « وأنا أيضاً ، أكره الطلاق ، أقصد ، لا أنوى طلاقك ، ربما أقتلك ، لكن الطلاق لا ، لن تخرج بسهولة ، صدقنى !! » .

« الآن تمت تسوية أهم نقطة ، ماذا عن وضعى ضمن العفو العام يا مادلين ؟ » .

« أنا ألعنك ! أتوقع أننى أشاركك منزلاً بعد ذلك ، يا مخادع ! » إندفعت ناحية الشرفة وإستندت إلى سورها ، بينما صاح الببغاء « يا صغيرة يا لطيفة ، لا تكونى مجنونة ! » .

همست لنفسها « طائر حكيم ، حكيم ، طائر حكيم ، لن أصنع منك حساء أبداً !! » .

إبتسمت مادلين للببغاء وإتجهت إلى النافذة وأطلت منها ، كان جويل جالساً بجوار مائدة المطبخ ، يتلاعب بفنجان قهوته .

عندما عادت مادلين من الباب الخلفى قال جويل « حسناً ، لقد أخذت منك كثيراً » .

ردت بهدوء « نعم نسيت أنه منزلى الذى أهرب منه » .

« نحن بحاجة لمزيد من الحديث ؛ لم أقصد هذا !! » .

« طبعاً يا جويل » .

« تمام ، أعرف أن شيئاً يحدث ، ماذا عن الآن ؟ » .

« لماذا ، لا شىء ، لا شىء يحدث ، أنت تساءلت عمن يرتدى سراويل النساء هنا ـــ » .

« أنا ، هو أنا !! » .

www.elromancia.com

«نعم يا عزيزى» جاءت لتجلس قبالته «لى سلطة وصلاحية لأنك طفل مدلل، يا جويل» إستقرت كلمتها على المائدة بينهما كأنها قنبلة زمنية ستنفجر تواً، حدق جويل فيها وقال: «أمى، أنت تحدثت مع أمى!!» أومأت بالموافقة، «أمضت ساعات تسمم عقلك ضدى، تكرهنى! يا إلهى، كنت أتمنى ألا تحضر هنا، لا أظن شيئاً أسوأ من ذلك، أن تعيش أمى بجوارى لا شىء!!».

«تحدثت عنك بكل خير فيما عدا ــ حسناً، بالتأكيد لديك عادات سيئة!».

تورد وجهه وهو يتقدم ناحيتها يضع يديه فوق كتفيها، ويهزها «لماذا، اللعنة، أتظنين لماذا تحملت كل هذه المتاعب لأتزوجك؟ لماذا؟».

«ياله من سؤال جيد» وهى تتهكم «من أجل أموالى؟ ليس لدى أى مال».

«إسمعى جيداً؛ تزوجتك لأننى أحبك».

تفكرت مادلين، أخيراً هذه هى الكلمة، أحبك، لا يهم تلك المناقشات، ولا تلك الأعمال المخادعة، هذه الكلمة أنا أحبك تستحق كل معاناتها، تزوجتك لأننى أحبك قالها فعلاً!! وكذلك أنا، يا جويل، قالت لنفسها، وهكذا أنا، والآن ماذا؟ إجتاحها الغفران والتسامح؟ دعى المخادع لا، كلمة خاطئة، المنقذ؟ هو يستحق فقط قدر ضئيل من الهجران لأجل إعادة وعيه!!

«طالما قلت هذا يا جويل» وبدأت تجمع الأطباق الغير نظيفة، جذب معصمها.

«لا شىء من ذلك، لن أجعلك خادمة مطبخ».

«آه؟» نظرت إليه وقال: «أعرف أنك تنسجين خططاً للإنتقام، لكن إسمعى ياسيدتى!! لقد وقعت فى حبك منذ أول لقاء فى تلك الليلة وأنت تقفين فى شرفة منزلى، عندما جئت تبحثين عن جويل فيرمونت!! إنبهرت بك أتذكرين؟».

قالت لنفسها حتى أنا وقعت فى حبه ليلتها!! ثم سمحت لهذا المتغطرس لإيقاعى! كم وقتاً ضيعناه، حدقت فيه والحب يشع من عيونها.

أزعجها الببغاء وهو يرفرف بجناحيه فوق كتفها، وواصل جويل حديثه «تحدثت مع العمة مارى مراراً؛ دائماً كان سلوكك مع الرجال نمطياً، تقعين فى حب أحدهم، ويبدأ طريق الإرتباط، ثم تهربين، حسناً، لم أكن لأتركك تهربين منى، أيتها السيدة الصغيرة، لذا أعددت حيلة لإفقادك توازنك؛ كلها فكرة عمتك، السيدة اللطيفة!!».

«فكرة عمتى الحبيبة!!».

ضحك «عمتك الحميمة؛ فيما عدا ماوقع فوق الجزيرة، كلها فكرتى أنا! وتركت لعمتك رسالة!! غلطتى أن العاصفة دفعت خططى أبعد مما أتوقع!!».

تنهدت!! «آه يا أنا!!».

جذبها «هيا نصعد السلم، إسترخى هناك، أريد أن أحدثك».

«تتحـدث؟».

أرجو أن لا ترتدى هذا السويتر».

«آه؟».

«ياه، ألا يمكن تسوية الأمر!!».

بدأت تتحدث «لكن ــ».

www.elromancia.com

« أحبك أحبك حباً ينير دنياى ويملك عقلى ولا أسمع سوى أنغامه ، حباً يفوق حبك لى !! » .

بعد فترة قالت له : « حدثنى عن أمك » .

« ستسافر بالسلامة إلى بوسطن اليوم ، أعرف أننى يجب أن أفعل شيئاً ـــ

« إذن لو أنك تحبنى كثيراً ، لا تغضب منى ، خصوصاً عندما أفعل شيئاً لأساعدك ، لقد دعوت أمك للبقاء معنا مدة الأربعة أسابيع القادمة ، وستجىء هنا غداً » .

« مـــاذا ! » .

« دعوت أمك لتقيم معنا وأمرت بإزالة السياج غداً » .

« لماذا أيها الشيطانة المجنونة الصغيرة !! فعلت ذلك فقط للإنتقام منى !! لا تثيرى ضجة !! لا نريد إيقاظ العمة ؟ » .

وهبط ضوء القمر ، وسطعت ضياؤه عبر النافذة ، وشملت مشاعر الحب الفياض الغرفة ، وللمرة الأولى فى حياتها تتيقن مادلين أن من يحاول الوقوف فى وجه الحب ، مجنون ؛ ومن يريد إطفاء ضوء القمر مجنون ؛ فقط نحاول رؤية الوجه الآخر الجميل للعالم .

www.dvd4arab.com